علي احمد باكثير

همام

في بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية



همّـــام

فى بلاد الأحقاف

همّام

في بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية

نظم

علي أحمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

مُقَدمَة المــؤلف

هذه المسرحية الشعرية التي استوحيت موضوعها من الحيـاة الاجتماعيـة بحضرموت ، وكتبتها وأنا بمدينة الطائف ثم نشرتها بالقاهرة سنة ١٩٣٤ ، كانت أول تجربة لي في الكتابة للمسرح ، وكـان لهـا صداهـا في الأوسـاط الحضرمية منذ ثلاثين عامًا !

وقد تقدم إليّ الأخ الأديب الفاضل الأستاذ علي محمـد الصبـان مقترحـا إعادة طبعها ، ليتاح للأجيال الحضرمية الجديدة الاطلاع عليها ، باعتبارهـا وثيقة أدبية لمرحلة من مراحل التطور في حيـاة المجتمـع الحضرمـي ، فرافقتـه على ذلك ، شاكرًا له جميل اقتراحه ، راجيًـا لـه التوفيـق فيمـا يتوخـاه مـن خدمة أمتنا العربية .

المؤلـف
علـي أحمـد باكثير

القاهــــرة
٦ ربيع الثاني ١٣٨٥
٣ أغســطـس ١٩٦٥

تصديـــــــر

بقلم الشاعر الكبير الأستاذ النقادة

حسن كامل الصيرفي

ناظم هذه الدرامة الشعرية أديب حضرمي يحمل بين جنبيه قلبا خفاقًا ينزع إلى الحرية .. ويصبو إلى رحابها الواسعة المترامية الأكناف ، ولهذه الرغبة نراه يطوي الأنجاد والوهاد ويركب متون البحار حتى يبلغ أرض الكنانة ، رسولا من مستقبل حضرموت إلى حاضر مصر ، لينقل إلى وطنه قبساً من نور بهيّ .

هو شعلة من الحياة التي تعرف حقها من الوجود الذي يأبى الركود ، ولهذا تجدّدت فيه الروح الناهضة ، التي أوحت إليه بهذه الدرامة .

هو شاب مخلص لوطنه كل الإخلاص ، فإذا كان ثائرا على حالة وطنه الراهنة ، فإنما هذه الثورة عين الإخلاص .. وما ثورته إلا الرغبة في الإصلاح.

تلمح في درامته صورا سريعة العرض تمثل ذلك القطر الشقيق رازحًا تحت أعباء ثقيلة من بدع متوارثة ، خلفتها عصور مظلمة ، وسياسة غريبة

عجيبة ، تتحكم في مصير شعب ضعيف خدرته بالعقائد والأوهام ، فسيرته في سبلها طائعا طاعة عمياء ، وليس أقدر من العقائد على أسر النفوس التي تضعها الفطرة في دائرة محدودة ، وتسهل تفكيرها ، وتقصر مدى نظرتها . فهناك فئة من الناس تتزعم الحياة الاجتماعية وتسيطر على الناس بتهويشها وخداعها ، وقد عرضت الدرامة صورا لها ساخرة منها هذه الأبيات :

وليٌّ الله ذو الجبـــــــو ة والأرديـــــة الخضــــر
وذو المســـواك في العمـــة قـــد أربـــى علـــى الشـــبر
ورب الســـبحة الغـــارق في التســـبيح والذكـــر
بهـــا يذكـــر في النـــاس ولا يذكـــر في الســـرّ

يرجع ناظم هـذه الدرامـة جهـل شعبه إلى جهـل المـرأة ، فهـو يريدهـا متعلمة كشقيقاتها الشرقيات اللاتي عرفن مكانتهن من شعوبهن ، فنهضن يطلبن حقوقهن ، فكان لتلك النهضة أثرها في شعوبهن .

وبطل درامته (الشاعر المصلح) الذي جعله المؤلف شابًا مجددا يسـخط على المسيطرين بخداعهم وأضاليلهم علـى عقـول الشـعب ، ويحـاول جهـد استطاعته بث أفكار جديدة في بيئته فـلا يلاقـي إلا عنتـا ، ولا يوصـف إلا بالكفر والإلحاد .

هذا البطل يجتهد أن يوصل أفكاره إلى الشـعب عـن طريـق المـرأة ، لأن المرأة كما يقول المؤلف على لسان سيدة من أشخاص درامته :

صاحبات الزمان نحنُ .... حياة الناس فيه والموت في أيدينا !

وهذا البطل موزّع القلب والفكر بين حبين قاسيين .. حب لوطنه ورغبة في تحريره من الأوهام وترقيته إلى مصاف البلاد الراقية ، وحب لفتاة تملك عليه شعاب قلبه .

وبين هذه الحياة المضطربة من صدمات عنيفة ، ومن جحود وإنكار ، ومن قلق وكفاح ، ومن رغبة وخفوق ، يرينا المؤلف صورًا من الحياة الاجتماعية في عاصمة الأحقاف ، كل ذلك في أسلوب طلي بسيط .

على أن المؤلف – بالرغم من هذه الثورة المضطرمة في نفسه – لم يزل يرفق ببيئته ، فهو يلطف من حدة أفكاره بألفاظ قريبة إلى روح الشعب ، فيها من إطفاء الغضبة ما يمنع سخط الساخطين وحنقهم . وله الحق في ذلك فهو يلجأ إلى مثل تلك الألفاظ لكي يستطيع بث آرائه وأفكاره .

وأرى أنه لو ختم درامته بغير ما خُتمت به لكان ذلك أشد وقعًا وأجلّ أثرًا ؛ فلقد كان يجدر به أن يختتمها بالحياة لا بالموت . وبعد فأتمنى له حين يعود إلى وطنه فيقوم بهذا الدور ، ويبث فيه الأفكار النافعة والآراء الصائبة ما تمتلئ به روحه ويزخر به إيمانه ، وأن يجعل الله خاتمة دوره الظفر والنصر وتحقيق الأماني .

القاهرة ٢٩ صفر ١٣٥٣ – ١٢ يونية ١٩٣٤

حسن كامل الصيرفي

الإهـــــــداء

إلى مصدر الوحي الأول !

إلى ملاكي الجميل الذي سبقنى إلى عالم الخلود ، وكلما ذكرته أوحى إليّ !

وإلى الشعب الحضرمي الذي أحبه وأعيش من أجله ، أهدي :

هذه الأقصوصة

كذكرى خالدة للأول ،

وذكرى نافعة للثاني .

علي أحمد باكثير

تمهـــيد

مكان الرواية	:	مدينة (سيوون) عاصمة حضرموت الداخل
زمن الرواية	:	العصر الحاضر
أشخاص الرواية	:	

همـــــام	ـ	بطل الرواية
حُســــن	ـ	حبيبة همام
محمـــــد	ـ	صديق همام ونصيره في المبدأ
علويــــة	ـ	نصيرة وحبيبة محمد
زهـــــراء	ـ	أخت همام
خديجــــة	ـ	أم حُسن
شـــهاب	ـ	عم حُسن ووكيل أبيها
ولـــي الله	ـ	خرافي دجال يتجر بدينه
ســـالم	ـ	صديق محمد
الأمـير أمجـد	ـ	أمير البلاد
بكـــــر	ـ	غني يطلب يد حُسن

أحمـــــــــد		
عقيـــــــــل		جماعة من الأدباء
ابـــن عيســـى		
عبد الله المغني		
عـــــــــامر	ـــ	بدوي رافق هماما في طريقه إلى الساحل
ناهيـــــــــة		
ســـــــــعدى		أخوات عامر البدوي
لبنـــــــــى		

نكرات مسرحية ـــ رجال وشيوخ ونساء ووصائف ومغنيات

الفصـــل الأول

« غرفة متوسطة السعة على جوانبها خزائن مملوءة بالكتب، مفروش جانب منها بسجاد رومي ثمين ، وعلى الجانب الثاني منضدة صغيرة عليها أدوات الكتابة يحيط بها خمسة كراسي بسيطة . ويظهر همام في الجانب المفروش من الغرفة متمددًا واهي الأركان ، يئن أنينًا خفيًا يشبه الغمغمة . تدخل عليه زهراء فتعرف ما به وتتجاهل فتسأل » :

المشهـــد الأول

زهراء : أخي ما بـك اليومَ ؟ إنـي أرا ك قليلَ النشـاطِ كثـير الضجـرْ
أأنـت مريـضٌ وُقيـت الشُّـرو ر ، وبلغـك ا لله طـولَ العُمُـر

هُمـام : أى إنَّ بـي مرضـاً في الفـؤا د يـا زَهْـرُ يُنذِرنـي بـالخطر
ولا تجهلـين مـاذا بصِنـو كِ ممـا بـدا منـه أو مـا استتر
فماذا وراءكِ ؟ هل من جديـ ـد يخفّف من وجديَ المستعِر ؟

زهراء : أخي لا تَخفْ في الهوى أن تَخيـ ـبَ؛ وهل يجهلُ الناسُ فضلَ القمر؟
ولا تجعلـنَّ ليـأسِ إليْـكَ سبيلا ففـي اليأس فـوتُ الوطـر
أييـأسُ مثلـكَ وهـو الرَّحيـح في الكِفَـفِ الشّـائلاتِ الأُخَـر؟
فـأحرى بغـيرك أن يسـتريحَ إلى اليـأس . لا بـدَّ أن تَنْتَصِـر
كـأنّي بحُسْـنٍ تُـزَفُّ إليـكَ عروسـاً تلـمُّ ذيـولَ الخفـر
تُحيـط بهـا الغانِيـاتُ الحسـا نُ كالبـدرِ بين النجـوم الزهـرْ

كـأنيّ بأبياتِنـا قـد غـدتْ تُصفّـق بـالفرَح المزدهِـر
وأنتَ عـروسٌ تُحيِّي الوفـو دَ وتخطُـر بين صفـوف الزُّمَـر

هُمـام : أزهـراء لا عَدِمَتْـكِ الديـا رُ ، حديثُك يقشع عني الكـدر
لأنـتِ العـزاء إذا مـا أتيـتِ وأنـتِ الهنـاء وأنـتِ الحبَر°[1]
فأيـن الكتابُ ؟ أما تقرئـينَ ؟

زهراء : بلى ! ذا الكتاب معي قـد حضر
كتـاب كريـمٌ خليـق بـه بـأن يكتبـوه بنـور البَصَـرْ
«بلوغ المرام» و«سُبْل السـلا م » عليـه تُحَجَّـل منـه الغُـرَرْ
أحـاديثُ طـه وآيُ الكتـا ب تلألَـؤُ فيهـا خِـلالَ السَّـطر
وأقوال مُجتهدي الصحب والأئمّـ ـةِ مـن كـل حِـبْرٍ أبـر
فيأخذُ منهـا الفتـى مـا صفـا ويـترك منهـا الفتـى مـا كـدَرْ
ومَنْ لاذَ مِن بعدهـا بالهـوى فإن الجحـيمَ هـي المستقَـرْ

« يتبسم همام إعجابًا بهذه الروح الإصلاحية التي وفق لبدرها في نفس أخته . وتعرف هي أن في مثل هذا الحديث تسلية له وتهدئة لأفكاره المضطربة فتطّرد في حديثها » :

فـلا سَـلِمت كُتـب الجـامدينَ ولا فـاز قارئهـا بـالوطر
صَحـائفُ لا روحَ فيهـا ولا يَجـول بهـا ذكـرُ خـير البَشـر
يُصـوَّر فبهـا مُحـالُ الأمـو رِ ، ويُـترك فيها مُهـمُّ الصُّـور !
فتلـك الجواهـر أيـن الرّمـا لُ منها وأين خسيس الحجـر ؟

---

(١) الحبر : السرور

« يستولى على همام الانبساط ويأمر أخته بالقراءة فتقرأ فصلاً من الكتاب يقول لها بعد الانتهاء »

صار فرضًا عليك أن تنشُرى هـــ ـــذا الهـدى فى جماعة النسـوان
فهُـدى الشّعبِ من هـدى أُمّهـــ ـات الشعب فى كل موطـن وزمـان
وبناتُ الأحقافِ أولى بأن يحذِقـــ ـــن شـتّى العلـوم والعرفـان
وبـأن يَـطْهـرنَ مـــن لَـــوَ ثِ الأوهـام ممـا يخـلُّ بالإيمـان
فيريـــن الحياةَ مـن غـير معـــنىً غيـر تـلك الحيـاة وهـى معانى !

زهـراء : لِتَطـب يـا همـامُ نفسًـا فمـا تـر جـو سأسْـعى فيــه بغــيرتوان
ولـقد سـرَّنـى استـمـاعُ صديقا تى لقـولى وقْدرهُـن مـكـانـى

هُـمـام : بـارك اللّـه فـي الصِّغـار ففيهـنَّ قَبــولٌ للحـــق إمَّـــا دُعينـــا
إنّـمـا الشّرُّ فـي العجـائـز يجمُد نَ جُمـود الحصى فلايهتـدينا !

زهـراء : نحـن بـالأمس ثُلةٌ ضمنـا مجلسُ عُـرس فـى بيـت جـار أبينـــا
ولدينـا شـريفةُ جمعَــتْ حُسـنًا ولطفًـا جمًّـا وعقــلاً رصينــا
سمِعَتْنى ــ ولستُ أعرفـها ــ أُلــ ـقى على الحاضرات درسًا مبينا
سُقْتُ من أخبار الشـهيراتِ فـى الإسـلام مـا ردّهــن لى يُصغينـا
شـاقهن الحديـث عـن سـيّداتٍ فقُن بعـضَ الرجـال علمـا ودينا
ثــم حرّضنهُــن أن يتشـــبّهن بتلـك الشــموس أو يقتدينـــا
قـلتُ لـيس الرجالُ أولى بكســ ـــب العلـم منـا فإننـا مُسـتوونا
ومـن العلـم مـا يُعرِّفنـا الديـن ومنـه مـا سـدّ فإننـا مُسـتوونا
وأهـــم الأمـــور تربيــــةُ الأو لاد كـى ينشـأوا مـن العاملينـا
صاحباتُ الزمان نحن ! حياة النـــ ـناس فيـه والموتُ فـى أيدينـا !
إن نـشـأ فـالـورى بـنـا سُعـداء وشـقـاءٌ حيـاتـهـم إن شِيـنـا

فعلينــــا لربنـــا واجبـــاتٌ   ليس نبرا مـن إثمها مـا بقينـا
كيـف نستطيعُ بالجهالـةِ يومـا   أن نـؤدي أمانـة الله فينـا ؟
صِحْنَ في أسماع الرجال : أليـ   ـس العلم فرضًا على النساء مبينا؟
فيم غادرتُم البنات على جهل   وقمتم تعلّمـون البنينـا ؟
هـل أقمتم مدارسًا للواتـي   إذ أقمتم مدارسًا للذينـا ؟

* * *

فتدنـت تلـك الشَّـريفة مـني   وحَبَتْني مـن الثنـاء فنونـا
ثـم قالت : عمّن تلقيتِ هـذا ؟   قلت عن صِنْويَ الذي تعرفينا
عن همامٍ . قالت همام أضحى   بحُسْنٍ بين الورى مفتونـا ؟
والـذي يذكرون عنه ابتداعًـا   بئس هـذا الورى وما يَفترونا !
إنني قد أنستُ من قولك السّا   لـفِ روحًـا فيّاضـة ويقينـا
فتساءلتُ مَن يكونُ الذي لقّـ   ـنَ هـذي الهُـدى تلقينـا ؟
فذَكَرْتِ امـرءًا جُعلتُ فِـدا   هُ دونَ ما عابَهُ بـه الجاهلونـا !
ليتني أستطيع أن أتلقّى عنـ   ـه شيئًا ! أنّـي لِـذا أن يكونـا
قُلت : نفسي فداكِ يا ابنة طه   أنتـم آلُ بيتـه الأكرمونـا
ليس بِدعًا أن تنصروا سنـ   ـةَ الهادي بنصرهـا قمِنونـا
إنما البدعُ أن يكون بنو المخـ   ـتار عن هديه من الناكبينا !
غير أن ما رأيتُ مثلكِ في نسـ   ـوة «سَبُوُونَ» تعشقُ المصلحينا
إن سرًّا في الأمر يَحْسنُ لو أد   ريه ، قالت يَسرُّني أن يَبينـا
نحن من بيت سادةٍ يكرهُ الدجْـ   ـل ويأبـى من الأمـور الدُّونا

جدُّنــا الأكــبر الشريف « عقيــل »
ســنَّ نهــج الهــدى لنا ما حيينــا
عنــدنا من آثــاره « سيفهُ المســلُو
ل » يَفْـــري أوهامهـــم والظنونـا

* * *

بلعــى عــني الســلام همامًــا ورجــائي إيــاه في الناجحينــا
وغـدًا نلتقي ويحرسـك الرحمـ ـنُ قلت الرحمن يبقيـك فينـا
همـام : بـارك الله فيـك ! هـذى فتـاة من سَليل الأفـاضل الأطهرينـا
جدُّهـا كـان في الحجـاز منـارًا للمعـالي يَؤمُّـه الطالبونـا
ذبَّ عـن سـنَّةِ النـبي ولاقـى مـن بـني قومـه أذًى وفنونـا
رَبِّ آمنـتُ بالوزراتـةِ ! أنـتّ الله أرسـلتها لنـا قانونـا
هـذه روح جدّهـا ، ربِّ وفّقـ ـها وآزر بسـعيها النّاهضينـا
« يلتفت إلى زهراء مسائلا » :
ألديهـا روجٌ ؟
زهراء : قضى زوجُهـا النحـ ـب صغيرًا لم يبلغ العشرينا !
وقضـى قبـل روجهـا أبواهـا فهـي ثكلـى تَعيش عيشًا حزينـا
خبرتني عنهـا سـعيدة إذ كـانت قـد استُخْدِمتْ لديهـم سـنينا
همـام : مَـن يليهـا إذن ؟
زهراء : شـقيق أبيـه عالهـا رغـم كونـه مسـكينا
همـام : ذكّرينـا لكـي نواسـيَه القَيْـ ـنة بعـد الأخـرى .
زهراء أصـبت قمـينا

همـام : لم تَجدْ بعد زوجهـا خاطبًا ؟

زهراء : لا .

همـام : أو ليست حُسْنا كمـا تذكرينا ؟

زهراء : بـل هـي الحُسن كلُّـه ـ عَلِـمَ الله ـ متاع الرائـين والسـامعينا !

همـام : غير أن الشَّبابَ في هـذه الأنحـ ـاء بالحسـن ليس يَحْتفلونـا

إنمـا ينظـرون للمـال فالمـا ل هـو الزوجـةُ الـتي يخطبونـا

ويَــرَوْنَ الكمـــالَ في ذات أمٍ لا يُــرَى زوجُ بنتهـا مغبونـــا

تتوخـى رضـاهُ في كـل حـين فتريـه مـن الطعـام فنونـا

فكأن لم يكن لديهم من الحبِّ سوى مـا يسـدُّ منهـم بطونـا

المشهـد الثانـي

« في القاعة الكبرى للمدرسـة حيث تقام الحفلـة السنوية وقد حضر إليها النـاس من كـل الطبقات ليشاهدوا التلامذة ويسمعوا خطبهم ومحاوراتهم .

التلاميذ في وسط القاعة متميزين عن الناس والناس محيطون بهم . همام يقوم بعد فراغ التلاميذ ويعتلي منصة الخطابة » .

يـا بـني مدرسـتي إنـى لكـم ناصحٌ يصفيكـم النُصـحَ أمـين

لَبنـاتُ الشّـعب أنتـم فليكـن كلُّهـا من ذلـك الصّلب المتـين

إنَّ برنامـــجَ تدريسِـــكُمْ ليس برنامـــج قــومٍ مرتقين

تُرهِقون النشءَ بالحفظ فمِن حفظ تقريرٍ إلى حفظِ متون

ليس في ذاكمْ لهم من صالحٍ إنه يقتل فهمَ الناشئين

فدعوا الحشو وربُّوا فيهم ملكات الحذق في كل الفنون

استقوا التوحيدَ من ينبوعه وانبذوا كتب الصفات الأربعين

لا تريد النفس إلا حيرةً لا كأسلوب الكتاب المستبين

لم تولف لكم هاتيك ، بل ألفوها لحِجَاج الملحدين

واقصدوا في الفقه لا يأخذكم ليس في الفقه غذاء الناهضين !!

« أحد الشيوخ يقوم ويحاول تسكيت همام ويصيح » :

يا عبادَ اللّهِ ! هذا مارقٌ يندب الناس إلى دينٍ جديد

أسكتوه أسكتوه ! إنه يا عباد الله شيطان مريد

شيخ آخر : هذا وهابيٌّ !

ثالث : هذا معتزليٌّ !

رابع : سدُّوا فاه

خامس : لا تدعوه يغوي الناسَ !

سادس : هذا ما كنا نخشاه !

« همام رافعاً صوته في شيء من الغضب » :

أنا لا أصغي لتسكيت امرئ أنا لا أخشى صياح الصائحين

خطبتي لا بدّ من إتمامها

شيخ متنور : أتمم الخطبة إنا سامعون

لا تُبل ؛ من رام أن يقطعها فليقم إن شاء في المنصرفين

همام : أنـا لم أدْعُ إلى غـير الهُـدَى وإلى غـير نهُـوض المسـلمين
أنقِمْتـم دعـوة النـاس إلى سُـنّة المختـار خـير المرسـلين

« ملتفتا إلى الشباب »

اسمعوني يـا شبابَ الحـي ، لا يُقصكم عني مقالُ الجامدين !
.. .. ليس في الفقه غـذاء الناهضين !
اقرأ وافقَه حديثَ المصطفى تعبروا الشكَّ إلى بـرد اليقـين
لا تهـابوا اليـومَ أن تجتهـدوا إن سـرَّ العلم للمجتهديـن !!
وكتـاب اللهِ بـاقٍ خـالدٌ تنجلى آياتـه في كـلِّ حِـين
ادرسـوه درس أحيـاء ولا تدرسـوه دَرْس قـوم ميّتـين
ادرسـوه وفْـقَ نهج خَطّـه (مصلح الإسلام[1]) ذو الفضل المبين
إنـه يشْـعِل في أنفسـكم جـذوةَ الديـن وعِـزّ المؤمنـين
إنـه يبعـث في أرواحكـم قـوةً هائلـةً لا تسـتكين
فَتَـح الدنيـا بهـا أسـلافنا من ربَى الغرب إلى السور المكين
وأضعناهـا فهُنّـا بعـدها وغـدونا مُضْغـةً للآكلـين
ليست الأخلاق لِينًا في الخُطى وخضوعًـا هـو للنَّفسِ مهـين
إنمـا الأخـلاق أن لا تُبطِنـوا غير مـا للنّـاسِ أنتـم تظهـرون
إنمـا الأخـلاق أن لا تـتركوا نصـرةَ الحـقِّ للَـوم اللائمـين
رفـعَ الإسـلام مـن أنفسِـكم فارفعوهـا عـن دعـاء المقْبَرين
لا تذلُّـوا لسِـوَى الله ، ولا تخضعـوا إلا لـربِّ العالمـين

---

(١) هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

« أحد الحاضرين لصاحبه » :

للّــــهِ مـــــا أفصَحــــــه !

الآخر	:	والحقُّ ـــ وا للهِ ـــ مَعَـــــه !
الأول	: لكـــــــن هـــــــؤلاء لا	يبغوننــــــــا أن نســــــمَعه
الثاني	: أقوالــــــــه مؤلمـــــــــةٌ	لهــــــــؤلاء موجِعَـــــــــــه
الأول	: لأنهـــــا تقطـــــعَ مـــــا	كـــان لهـــم مــــن منفعــــه
همام	: حَكموا الأنصـاف فيمـا بينكـم	لا يكـن قـومٌ لقــوم حــاقرين
	فالمســـاواة علـــى أعْدَلِهـــا	ميزة الإسـلام عنـد البـاحثين !
	وأخــو الحـــق إذا لم يُعْطَـــهُ	أخــذ الحــق انتهابًـا بــاليمين

* * *

المشهـــد الثالــــث

« بهو كبير ـ في دار أحـد أدبـاء البلـد ـــ مفـروش بالبسـط الجميلة من المخمل الثمين ، منقوشة جدرانه برسوم فنية جميلة للأزهار المختلفة تحملها الأغصان الخضر . جماعة مـن الأدبـاء في المجلس بينهم كثير من أتباعهم المتأدبين يشربون ويتحدثون. أمامهم عـدة شـاي مصقولـة يخطـف بريقهـا الأبصـار يتولاهـا أحدهم . يدخل همام مسلمًا » .

همام	: عمــوا مســـاءً يـــا أصدقـــائي	
الحاضرون	:	مسِّــــيت بالخــــير والهنـــــاءِ

أهــلاً وسهــلاً

أحمد : (أحد الأدباء) هذا ابن عيسى يـــذم فينـــا أبـــا العـــلاءِ

همام : في الديـــن أو في البيـــان ؟

أحمد : بـــل في كـــل الشـؤون علـــى الســـواء

همام : لا يا ابن عيسى جزت المدى لا بـــدَّ مـــن العـــدل في القضـــاء

« ملتفتًا إلى أحمد »

وأنـــتَ مـــاذا تقـــولُ فيـــه ؟

أحمد : إنـــــي أراهُ في الأتقيـــــاء

همام : كِلاكُمـــا قـــد غـــلا ، فهـــذا ذمَّ ، وذا لَـــجَّ في في الثنـــاء

بـــل هـــو في شـــعرهِ إمـــامٌ جَـــدَّد نهجًـــا للشـــعراء

لكنّـــه كـــان في ارتيـــابٍ مـــن ديـــن مـــولاه وامـــتِراء

فقـــال مـــا قـــال غـــيرَ خـــاشٍ ولا مُـــداجٍ ولا مُـــراءِ

ومُمكـــنٌ أنَّـــه حُظِـــي في أخـــرى لياليـــه بـــاهتداء

فرُبَّ شـــكٍ أفْضـــى بمـــولا ه ـ بعد ما حـــار ـ للجـــلاء

« تدار كؤوس الشاي ويأخذ همام كأسًا »

شـــرابُ الشـــايِ خـــيرٌ لي مـــن الدنيـــا ومـــا فيهـــا !

إذا مـــا أقبلـــت كـــأسٌ كخـــزدٍ في تهاديهـــا

قـــولى الهـــم مـــن نفســـي ودانـــت لي أمانيهـــا !

عرفتُـــم مـــنْ هـــو القـــائلُ هـــذا الشِّـــعرَ في الشـــاي ؟

يـــرى في الشـــايِ دنيـــاه فمـــا صِحّـــةُ ذا الـــراي ؟

عقيل (أحد الأدباء) :

لا تعجبنّ همـــامُ تلك حقيقـــةٌ كالشمـــس فيها الشاربـــون سواءُ

ما قيمة الدنيا وما فيها إذا   ما لم يكن شايٌ ولا ندماء ؟

همام : إنَّ في الشاي عزاءً   لصريع الهم والغمْ

لكئيب أو حزين   أو عميدٍ أو متيّم

حاز لُطفَ الخمر إلا   أنه غير محرّم ؟

من صفاء اللون في العين   وحُسنِ الذوق في الفم

هو مَسلاة أديبٍ   فيه من بلواه مَعْصَم

ورَسولٌ للتآخي   يجمع الناس وينظِم

غير أنّ القصدَ في الأشيا   ء منجاةٌ ومَغْنم

فغلَوْنا فيه حتى   صار فينا يتحكّم

وغدا وهو على القو   ت الضروري مُقَدّم !

وشربناه بلا وزنٍ   وتقدير مُنظَّم

فلكَمْ يَسْلبنا الما   لَ وكم يُسقِمنا كم

ولكَمْ أنحى على بيتِ   كريم فتهدّم

ولكم عائلةٍ جرّ   عها صابًا وعلقم

ولقد زاد بلاءً   أنه في قُطرنا عَمْ

فهو في القصر، وفي البيـ   ـت، وفي الكوخ المرمرم !!

عقيل ـ ملتفتًا إلى «عبد الله» المغني :

يا بلبل الأفراح والسُّرور   اصدَحْ بمُوْسيقاك في الحضور

غن لنا شعر (أبي كثير)   في الشاي وانشُر ميت القبور !

(يتهيأ المغني ثم يرفع عقيرته يتغني بصوته الجميل ولحنه الطروب) :

يا صاحب القلب الشقي بقومه   إرفق بهذا القلب لا يتحطمِ !

اخــدم بلادك ما استطعـت وكل إلى
مــــولاك ما لم تستطعـــه وسلّـــــمِ
ومن الجفـا أن لا تحـيي مثلمـــا   حيّاك وجـه العيـد مبتســـمَ الفمِ
ذَرْ بعضَ همـــك واقض بعض حقوقــه
لا بـــــدَّ للمحـــزون من مُتَبسَّـــم !
واقــذف شياطينَ الهمــــوم بأكـــؤس
تنفــضُّ من (بُـــرَّاد) شاي مُعلَـم[1]
مخضـرةٍ جنباتــه فــاعجب لـــه   من جنـة خضـراء فوق جهنـمِ !
شاي يفـوز من احتسـاه بلثمـةٍ   من كل خدٍ في الحسان ومبسمِ !
من (باسلامةَ) مثـــل ذوب التـــبر أوْ
من (مشعبيّ) مثل لـــون العنــــدمِ[2]
مثـل الطـلا في لونهـا وصفائهـا   ونقيضهـا في رجسـها والمـــأثمِ
لا نقـصَ عنهـا فيـــه إلا أنـــه   حُلـوُ المـذاق وأنـــه لم يحـرُمِ
فاشربه متخذاً نديمَـك كـل ذي   أدبٍ متـــى نادمتَـــه لا تنـــدمِ

همام : أحسنت يا بلبل الوادي !
آخر : أجـــدت
آخر : لقد رَوَّحــ ـــتَ بـالصّوت أكبـادًا وأرواحـا
همام : وقـد تفـرد بالإحسـان شـاعرُنا   إذ ضمَّن الشعر توصيفًا وإصلاحا
وأنصِتوا لشاعـــر   من شعرائكـم سَـــرِيْ
« الحامديّ » يصف الشاي بوصف عبقري !

---

(١) البراد يطلق هناك على إبريق الشاي .
(٢) صنفان من الشاي اشتهرا في حضرموت بهذين الاسمين .

روّق لها مـاء الغمـام وهاتهـا   لي والحبـاب يجـول في جنباتهـا
صهباء ما عبثت بها يدُ عاصـر   ما عاشـرَتْ إلا أكـفَّ سُقاتِها
من جيّـد الشـاي استحال عصـيرها
فغـدت تحاكي الشهـب في جاماتهـا
قــد راق منظرهـا ورق زجاجـها
فلِعلـــةٍ لم يُدهقـوا كاساتهـا
لولا انتصـافُ الكاس خيّـل أنهـا
في كـــف ساقيهـا تقـوم بذاتها !
وإذا الهموم على النديـــم تكاثفـت
وبـدت أشعتها جلت ظلماتهـا !

حقّـا لدينـا نهضـةٌ   أدبيّـــةٌ لا تُنكـــرُ
عَمَـرت نوادينـا ، بهـا   يستبشــر المستبشــر
نشـطَ البيـانُ فشـاعرٌ   يشــدو وآخــر ينــثر
هـذا لعمـري مُـؤذِنٌ   بنهوضنـــا ومبشّـــر

(يتنهد)

لكـنَّ .. مَشْـيُ العِلـم في   أحيائنـــا متعـــثّر !
جَمَد (الفقيـه) على متو   ن بالشُّـروحِ تُفسَّـرُ
وكأنهــا التـــنزيل أو   هـي بالقداسـة أجـدرُ !!
ويرتّـل (النّحـوي)   كُتـبَ خلافِـهِ ويقـرِّرُ
يمضـي عليـه عمـره   لا يسـتطيع يُعَـبِّرُ !
أمـا (الحديـث فـإنهم   يتلونـه كـي يؤجـروا
ووظيفة (الذكر الحكيـ   ـم) علـى القبـور يكـرّرُ !
أمّا سوى هـذي العلـو   م فأمـره مُستَحقَـرُ

كيف النهوض لأمة لا علمَ فيها يُذكَر ؟
في الدين والدنيا جميـ ـعًا سيرُها مُتَقهقِر !

أحد المتأدبين (**معترضًا**) :

إنّا علينا السعي للـ ـأخرَى ؛ وللدنيا سوانا !
أو ليستِ الدنيا بسِجْـ ـنِ المؤمنين كما أتانا ؟

همام

الله يـأمر أن نكو نَ أجلَّ أهل الأرض شانا !
وأشدهم بأسًا وأر فعهم وأعلاهم مكانا
كيما نقيم العدل في الـ ـدّنيا ونملأها أمانا
فإذا اتّبعنا ما يقولُ فسوف يُدخِلنا الجنانا
فنرى بها الدنيا كسجـ ـنٍ لا نرى فيها رضانا
والدين بالدنيا فليس يقـ ـومُ ما ضعُفَت قُوانا
وطبيعةُ الإسلام لا ترضى المذلةَ والهوانا
هذا المرادُ ، وحسبُنا قرآنُ مولانا بيانا

« **يلتفت إلى جماعة من الشبان العاطلين من أبناء السادة والمشايخ كانوا قد حضروا المجلس** » :

يا بني الأشراف قوموا وانهضوا
فكفى ما كان منكم من كَسَلْ
اعملوا لا تتوانَوْا واعلموا أنّ هذا ديننا دينُ عمل
بينما الناسُ على أعمالهم بين تشمير وجدّ مكتمِل
تتهادَوْن كأسراب القطا وتمشّوْن كقُطعان الهمَل !؟
أفلا يغشاكم فيه حيًا ؟ أو لا يلحقكم فيه خجَل ؟

أحدهم : إنهــم أشــياخنا ينهَوْنَنــا عـن تعاطينا لأعمــال السـفل
فعلينــا العلــم أن نخدمـــه وسيَغْنى من على اللّــه اتكل !

همام : إن هـذا الرأي منهــم خطـل وأراكـم لا تقِـرون الخطـل
فمتى عُـدَّ مـن العـار علـى سيّدٍ مسعاه في خير السُّبُل ؟
يجلـب الخـير إلى أهليـه مِـنْ والـدٍ أعمَـى وأمٍ تبتهـل
وأخيَّـاتٍ علـى أوجههـا كمُدة اليأس ولألاءُ الأمـل !
تتمنـى مـا لـدى جاراتهـا مـن أثـاث وحلُـيّ وحُلـل
أو لم يكتسـب المختـار في عهده والآل والصحب الأول؟
طالب العلـم ولا كسـبَ لـه بسـؤال النـاس لا بُـدَّ يـذِل
ليس من لم يكتسـب متكـلا إنما الكاسـب عـين المتّكل !

* * *

أبـني الرسـول تعلمـوا وتدبـروا سُـنن الحيـاه
لا تجمـدوا ! إن الجمـود سـبيل من كـره النجـاه

* * *

أسـلافكم وجدودكـم شـهدوا عصورًا غـير هـذا
فلو انهـم شهـدوه ما انتبـ ـذوا عـن الدنيـا انتبـاذا

* * *

لا تجعلـوا أعمـالهم حججًـا ، ولكـن محّصوهـا
فخـذوا محاسـنها وخلّـ ـوا ما تـرون الريْـبَ فيها

* * *

لا بـأس مـن تمجيـد ذكـــ ـــراهم ففي التمجيد ذكـرى !
كم حاضـرٍ تحـت الرمـــو س أفـادَهُ ماضيـــه نشـــرا

* * *

لكـن بحيـثُ يُهيـب نحـــ ـــو المجـد منطلـقَ القيـودِ
العصـر غـــير العصر والــ ـــأشبال أبنـــاءُ الأســـودِ !

* * *

كـــانوا هـــداة النـــاس بـــل كـــانوا ملائكـــة التُّقـــى
قـد أكـــبروا شـــأنَ الفنا ءِ وأصغـــروا شـــأن البقـــا

* * *

لمـــا ســـرت رُوحُ التصـــوّ فِ والتبتّـــــل فيهـــــمُ
مقتـــوا الحيـــاة كأنّهـا أشـــياءُ لا تَعنيهـــــمُ

* * *

فـــالموتُ هَمُّهمـــو ، وغـــا يـــةُ همهـــم دار المـــآبْ
فَعُنُـوا لهـــذا بالقبـــو ر ومـــا إليهـــا مـــن قِبـــاب

* * *

وتعشـــقوا الموتـــى فأحـــ ـــيَوْا لادّكـــارهم المواســـمْ
يجـــدُون عندهـــم العـــزا عن عيش ســوءٍ غـــير دائـــم

* * *

فقفـــوا أمـــامهمُ خشـــو عًـــا في ســـكون واحـــترام
فقـــد انقضـــت أدوارُهـــم فعليهـــمُ أزكى الســـلام

* * *

شَـــهدوا زمانًـــا فيـــه قـــد غلـب الجمـودُ علـى ذويـه
أنلومهـــم ظلمًـــا لأنْ كانـــوا فريقًـــا من بنيـه !؟

* * *

إنـــا لنظلمهـــم إذن وهـــم التّقـــاة الصـــالحون
رامـــوا رضـــى مولاهـــمُ في كل شـــيء يعملـــون

* * *

لكـــن عليكـــم أن تكـــو نـــوا للحقيقـــة طالبينـــا
لا تقبلـــوا ما جاءكـــم عـــن هـــؤلاء مُسَلّمينـــا

* * *

وتدافِعـوا عنـه ـــ علـى جهـلٍ ـــ بحـق أو ببـاطل
ليســـوا بمعصومـــين عـــن خطـأٍ وإن كانـــوا أفاضـــل

* * *

اليـــوم قـــامت نهضـــةٌ في عـــالم الإســـلام حيَّـــهْ
وســـرت إلى الديـــن الحنيـــ ـــف حياتُه الأولى القويّـــهْ

* * *

شبّتْ بهـا الحـربُ الضّـرُو س علـى الطـوارئ والبـدعْ
مما بـــه الأهـــواء قِـــد مًا ألصقَتـــهُ والتّشيّـــعْ

* * *

فلقـد هـوَتْ بالمسـلمين إلـــ ـــى الحضيـــض الأوهـــدِ
وقضـــت على أوطانِهـــم للمســـتبدِّ المعتـــدي

* * *

لا بـدّ مـن هـذا الرجـو ع إلى الكتـاب الخـالد
وإلى هُـدَى المختـار والـ ـسَّلف الحكيـم الرّاشـد

* * *

فعليكمـوا أن تدخلـوا هـذا الغمـار ولا تكعُّـوا
أنتـم بنـو الهـادي فمـا في سبقكـم للفضـل بِـدْعُ

* * *

كونـوا مِثـال النُّبـل كـو نـوا قـادةً للمسـلمين
والديـن كونـوا في طليـ ـعة ناصريـه المصلحـين

* * *

واقضـوا علـى الأوهـام لا تَجـدَنَّ بينكـم نصـيرا
ومـتى دعـوتم للصـلاح هديتـم بشـرًا كثـيرا !

* * *

وتعلّمـوا أن الـورى في شِـرعة الهـادي سـواءْ
ما الفضـل إلا بالتّقـى والكـل من طـين ومـاءْ

* * *

أمـا التّقـاليد القديمـه فاتركوهـا أجمعـا
أو لم تكُـنْ للفتنـةِ الـ ـعمياءِ فيكـم مهيعـا ؟

* * *

عـادٌ جـرت قِدْمـا يطـول بـ ـها القـويُّ علـى الضعيـفْ
ألعصـر يمقتهـا ، وليس يقـ ـرّها الديـن الحَنيـفْ !

(يرى ثلة منهم يتهامسون)

فيـمَ تهامَسـون ؟ ومـمّ تعجبـون ؟

(ينظر بعضهم إلى بعض ويجيب أحدهم) :

القـــوم لِلَّــــذي قـد قلتَ مُنكـرون !

آخر : يقولـون ترشَّـدت !

همام : وهـل بالرُّشْـدِ مِـنْ لـوم ؟

فهـذا (قُطُـب الإرشـا د) ربّ الفضـل في القـوم !

أحدهم : نحن نعنى فئة النصب التي أبغضتنا آل بيت المصطفى !

جاهرتنا بالعِدا في (جاوةٍ) وبوادي (حضرموت) في الجفا

همام : سُؤتم ظنًا ، وما زلتم لمن جاءكم بالنصح تبدون الجفا

إنني من أعظم الناس لِما كان من شَغْبٍ (بجاوا) أسفا

وأراهـا سـبة تجعلنا في عيون الناس بين السُّخفا

غير أني لا أرى أعظم أسـ ـبابها إلا جمودَ الشُّرفا !

وقفوا في وجه سيْلٍ لو تولّـ ـوه بالحُسنى لأروى وشفى

فطغت أمواجه ، حتى لقد جرف الأسداد فيما جرفا !!

حكّموا الأهواءَ ثم انطلقوا بالأهاجي يملأون الصحفا

ونَسُوا أن المبادي لا ترى نُجْحها ما لم تؤاخ الشَّرفا

* * *

أنا لا أعرف (إرشاديَّةً) لاَ ولاَ (رابطةً) أو جنفا

إنما أعرف (إسلاميةً) تجمع الناس على عهد الصفا

تجعل الناسَ سواءً لا ترى فيهم ربًّا ولا مستضعفا

أنا لا أعرف إلا أننا قد غوينا مذ هجرنا المصحفا

أنا لا أعرف إلا أننا نشر الجهلُ علينا السُّدَفا

فغدا العُـــرفُ لدينا مُنكــرًا وغـــدا المنكرُ فينـــا عُرُفـــا

* * *

أنـــا لا أعـــرف إلاَ دعـــوةً (لجمـال الدين) شقّت غُلفـا

تنـدب النـاس إلى ديـن الهـدى مثلمـا كـان بعهـد المصطفـى

لا خرافـاتٌ وأوهـــامٌ ، ولا بــدَعٌ تحســب فيـــه زلفـــا

تفتـــح العلـــم علـــى أبوابـــه في وجـوه المســلمين الحنفـا

ليكونـوا سـادة الدنيـا ــ كمـا وعــد الله ــ عليهـــا خُلفـا

ولقـــد أيّدهــا تلميـــذه « عبـده » فيمـا دعـا أو ألّفـا

بــثّ روح الحـــق في أتباعـــه فغــدوا فينـا غيوثًـا وكُفـا

فلنبـثّ الـــروح فينـــا هـــذه في إخــاءٍ ووفـــاق ووفـــا

لنحوز الفـوز في الأخرى وفي هـــذه الدنيا المقـــام الأشرفـــا

* * *

يا بـــني الأحقـــاف توبـــوا للهــــدى

واتبعوا (الذكـر) ولـــوذوا (بالسـنن)

وانشـــروا العرفـــان في قطركـــــم

واستغلـــوه وأحيـــوا كل فـــــنّ

وتناســــوا ما مضـــى وامتزجـــوا

وارحضـــوا الأحقـــاد عنكم والإحـــن

* * *

بينكم جنـــس ، وديـــــن جامـــع

ولســـان وعهـــود ووطــــــــن

(ســــتار)

الفصـــــل الثانــــي

المشهـــــد الأول

« همام في مكتبه الذي يستقبل أصدقاءه فيه يتصفح أوراقا له ورسائل . يستأذن عليـه « محمـد » .. يتعانقـان ثـم يجلسـان على كرسيين متقابلين تفصل بينهما المنضدة .

همام : أخـــي ! أيـــن تغيّبـــت ؟ فعهـــدي بـــك مـــن شـــهر
جـــرت في الربـــع أحـــداثٌ وظـــني بـــك لم تـــدرِ

محمد : ذهبـــتُ إلى زيـــارة شيـــــخ آهـــلِ الكشـــف والسـرّ
(وهنا يبتسم ابتسام السخرية)
عمـــود الديـــن في « قَيْـــدو نَ » شـــيخ الـــبر والبحـــر
ألم أخـــــبرك إذ يمّمـــــتُ مـــا يمّمـــتُ مـــن أمـــري ؟

همام : (متنفسا الصعداء)
بلـــى إنـــي ذكـــرتُ الآ نَ ! فـــاقبل يـــا أخـــي عـــذري
بلانـــــي الله بـــــالحبّ ! فعقلـــي ذاهـــل دهـــري
نهـــاري كلـــه فِكـــر ! وليلـــي مدمـــع يجـــري !
ولا ينفعـــــني علمـــــي ولا رأيـــــي ولا فكـــــري
ولا المشـــهور مـــن فضلـــي ولا المتِـــع مـــن شـــعري !

محمد : أخـــي ! لا تنـــس أن تصـــبر فـــالنّجح مـــع الصّـــبر
وخــــلّ اليــــأس ولتقــــرأ معــــي : إن مـــع العســــر

لمـــا تـــألمُ في جســـــمي ومـــا تغتـمُ في صـــدري !
ومـــا يحملـــه ظهـــرك محمـــول علـــى ظهـــري !
ألا تخـــــبرني مـــــاذا جـــرى طِيلـــة ذا الشـــهر ؟

همام : جـرى .. مـاذا جـرى ؟ لا شيء غـير الضيـم والقهـر !
« وليُّ الله » ذو الجُبـــــو ة والأرديـــــة الخُضـــر !
وذو المسواك فى العِمَّـة قـــ ـــد أربـى علـى الشـبر !
وربُّ الســـبْحة الغـــار قُ في التســـبيح والذكـــر !
بهـــا يُذكـــرُ في النـــاس ولا يذكـــرُ في الســـرّ
ومـــن يمشـــي بعُكـــازَين مـــن أتباعـــه الكُـــثر !
يطـــاطي رأســـه لـــلأر ض كالبـاحث عـن سـرّ !
تدنّـى مـن (شـهاب) سـا عيًـــا بـــالختل والمكـــر
أتـــاه خاطبًـــا (حُســـنًا) لراشـــي دينـــه (بكـــر)
ولم يـــألُ اجتهـــادًا عنــــ ـــده في الغـض مـن قـدري
رمـــاني بصنـــوف الزيـــغ والبدعـــــة والكفـــــر
ولا تجهـــل طـــرقَ القـــو م في الحيلـــة والخـــتر !

محمد : خفف عليك ! فإن أمرك هين والرأي يبصره ذوو الأحلام
أفقِدْ عـدوَّك روحـه بسـلاحه وافلل شبا الصمصام بالصمصام

همام **(في شيء من العتب والموجدة)**
أتريدنا نرشو الخبيث كما رشا بكرًا ؟ وأين مقامه ومقامي ؟
إن لم نكف عن الآثام نفوسنا فعـــلام ننقـــم ضلّةَ الأقـــوام

محمد : لا يُخْطِ ظنك ما أردت ، فلم أرِدْ
إنّا نلوذ بسُبّة وملام
إنّا لنربأ أن نقارف خلة تزري بمبدئنا القويم السامي !
لكن أردت سقوط هذا المرتشي
بطريقة تكسوه ثوبَ الذام
ونرى مخازيه الأنام ليقلعوا عن هذه الأوثان والأصنام !
من كل قاسي القلب ينصب دينه لقضاء لذّات وجمع حطام
سأطيل محنته ، وأبطل سحره قسرًا وألصِقُ أنفه برغام
وسيُبْصِرنَّ ذوو العقيدة فيه في
بردَيْه أيَّ مدجِّل أثّام !

همام : (وهو يبتسم ابتسامة الإعجاب والرضى)
بوركت يا خير الصحاب ! وبوركتْ
روح الشجاعة فيك والإقدام
لِتَنَم جفوني ما سَهِرْتَ فإن أنم
وسهرتَ أنت فلستُ في النوام
محمد هاتِ عن قَيْدو نَ ماذا كان من أمر ؟
وما شاهدتَ في الموسم من عُرف ومن نُكْر ؟
وهل وفّقْتَ في الإنكا ر والتذكير والزجر ؟

محمد تَوافَى الناس أفواجًا إلى قيدونَ كالذّرّ
فمن ساعية تمشي ومن راكبةِ الحُمر
هناك الساحة الكبرى تحاكي ساحة الحشر
بها ما شئتَ من لهو ومن لغو ومن هَذْرِ

وقــد غُصَّــتْ بأشــتات   مــن الآســاد والعُفــر !
تبــارت ثــمَّ في الحِلْــ   ـية والأبــراد والخُمــر
وقــد يقتُلــن بــالمِعصم أ   و بــالنظر الســحري !!
مــن الظُّهــر إلى العصــر   إلى مُنْبَلَــج الفجــر !
هنــاك الخســر في الديــن   وحسب النــاس مــن خسر
ولا يربَــح في تلــك الــ   ـزيارات ســوى النَّجْــر
وأمــا ســادن القبــة   فهــو الرابــح المــثري !
تُســاق لــداره الأكيــا   س مــن حَــبٍّ ومِــن تمــر
و(للصنــدوق) مــا يبــا   ع مــن ورْقٍ ومــن تــبر !

* * *

ولمــا حضــر الوقــت   تداعَــوْا كضحــى النَّفــر
وأمُّــوا نحــو قــبر الشيــ   ـخ بــالطبل وبــالزَّمر
يصيحــون : وليَّ الله   جئنــاك إلى القَــبر !
أتينــاك لكــي تحمِــلَ   عنَّــا ثِقــلَ الــوِزْر
وكــي تُسْــبلَ يــا قطــبُ   علينــا ضــافيَ السِــتر
وفي الأنفــس حاجــاتٌ   بهــا يــا ســيِّدى تــدري !
أتينــاك لكــي تقضَــى   ونحظَــى منــك بالسَّــتر

* * *

ولمــا وصلــوا القبــةَ   داروا دَوْرة الحُمــر
وأهــوَتْ راحُ ذاك الجمــ   ـعِ في التابــوت بالنقــر

فـلا تسـمع إلا مـا .... يصيـب السـمع بـالوقر
هنـاك النـاسُ غـيرُ النـ ـاس في الإخباث والذِكـر !
فهـذا خـاضع شـاكٍ وهـذا دمعـه يجـري
وهـذا ينشـج النشـجةَ تسـتعصي علـى الصـدْر !
وهـذا يُرعَـدُ الرَّعـد ة في أعضائـه تسـري !
وهـذا ينـذر النَّـذرَ وهـذا جـاء بـالنذر
وهـذا صـائح : يـا سيِّـ ـدي عطفًـا علـى فقـري
علـى عجـزي وإهمـالي علـى ضعفـي علـى ضـري
وقـد جُلِّلـتِ القبَّـة بالزينـة والسِـتر
وبَيْضـاتٍ مـن البلّـو ر عُلّقـنَ علـى الجُـدْر !
فمـن حُمـر إلى صُفـر إلى زُرق إلى خُضـر
ومصبـاح كبـير الضـوء مثـل الكوكـب الـدرّي
وللتـابوت معنـىً مِـنْ جـلال العِتـق والقـدر[1]
قـد اسـودَّ مـن التقبيـل في مختلـف العُصْـرِ !
عليـه ضِبَـبُ الفِضّـ ـة في أسـودَ كالحِـبر
فتبـدو كثغـور الزِّنْـ ـج إذ تضحـك مـن أمـر !
فثَـمَّ الضـم والتقبيـ ـل بـالثغر وبـالنحر
تلاقـى فيـه دَمْعـا الشـا ب والجاريـة البكـر !

* * *

---

(١) العتق : القدم .

ولمـــا ســــكن الجمـــعُ ســكونَ المـــوج في البحـــر
تـــراءى النـــاس شـــيخًا ذا شقاشـــقَ فيهـــم هُـــدْرِ
ينـــادي : أيهـــا النـــاس اهْـــــنأوا بـــالفوز والنصـــر
بهـــذي النعمـــة العظمـــى بنيـــل الفضـــل والفخـــر
قصـــدتم بـــاب ذى عطـــفٍ وذي جـــود وذي بـــرّ
وإنّ الشـــيخَ لا يـــترُكُ مـــن زار بـــلا أجـــر !
عليكـــم بخلـــوص القصـــــد في الســـر وفي الجهـــر
وبالتســـليم للأقطـــاب والخِدمـــة والصَّـــبر
وإيـــاكم وســـوءَ الظـــــن بالصوفيّـــة الغـــرّ
فـأهلُ اللّـــه هـــم . جـــازُوا منـــاطَ النهـــي والأمـــر !
ملـــوكٌ لهـــم التصريـــــف في الـــبر وفي البحـــر

* * *

سمعنـــا أنْ في (حـــدرى) تباشـــيرَ مـــن الكُفـــر ![1]
تصـــديَّ ناشـــئ غِـــر بـــلاه اللّـــه مـــن غـــرّ !
يُربّـــى الشَـــعْر كالفُسَّـــاق إذ يُعْنَـــوْنَ بالشَّـــعر
تلقـــى مـــن فنـــون العِلـــم مـــا زاد علـــى القَـــدْر
فـــأغواه وأرداه وجـــاء النفـــع بـــالضرّ
ومـــن شِقْوتـــه استحلـــى حميـــمَ الأدب المـــزري
جـــريء القلـــب لا يعبـــأ بالتهديـــد والزجـــر

---

(١) تطلق حدرى على ما سفل من حضرموت كشبام وسيوون وتريم . وعلوي على ما علا منها كدوعن وعمد ووادي العين .

يبــث السـم في الجاهــــ ــــل والعلاّمــة الحِـبْر
يســيء الظــنَّ بالأقطــا ب أهــل المــدَد السّـرّي !
لــه أتبـاعُ سـوءٍ كلُّـ ـهم يدعـو إلى الشّــرّ

* * *

هنـا قمـت وقـد ضـاق بـي الواسـع مـن صـدري
ومـا بـاليت بالغوغـا ء في عسـكرها المجـر
وقلت اسكت عجوز السو ء يـا داعيـة النكـر !
عـدو الله والإصـلا ح ! هل تهذي ولا تـدري ؟
أتدعـو النـاس للنكـر وتهجـو داعـيَ الخـير
فصـاح الشـيخ : غولـوه فـذا مـن شـيعة الغِـرّ
فلـولا أن تسـلّلت مـن الجمهـور بـالفرّ
لكانـوا أعدمونـي مهـ ـجتي بالضـرب والدّفر[1]

همـام : (**يضحك ويقوم إلى محمد ويضرب على كتفيه**)

حمـاك الله مـن سـوء وقـاك الله مـن شَـرّ
لقـد قمـتَ مقامـاً لا يُـوازي عُظْمَـه شـكري
ولا بـد لـذي الإصـلا ح مـن عـزم ومـن صـبرِ

* * *

---

(١) الدفر : الدفع في الصدر .

المشهـــد الثانـــي

« في دار (حسن) في الطابق الثاني . غرفة كبيرة مفروشة بمختلف السجاجيد الثمينة ، مكسوة جوانبها التي تلي الجدار بالمفارش الجميلة عليها الوسائد والمياثر الناعمة .

علويـة : **(داخلة الغرفة)**

أيهـا الربـــع سـلامٌ عيّكـم !

خديجة : **(ناهضة لاستقبالها)**

وعليكـم ألفُ ألــفِ سـلامِ !

مرحبًا أهـلاً بشخص كريـم مرحبًـا بابنـةِ قـوم كـرام

(تتصافحان فتجلسان)

علويـة : يا صبـاح الخـير !

خديجة : هــذا صبــاحٌ بـكِ طَلْـقٌ ثغـرُه في ابتسـام

علويـة : كيف حـال الربـع ؟

خديجة : في خـير عيـش نسـأل الرحمن حُسْـنَ الـدوام

علويـة : أين حُسنٌ ؟ إن شوقي لحسـن مثل ما اشتاقَ إلى الماء ظـامي !

خديجة : هــي في غرفتهـا

علويـة : إئذنــي أن أراهـا ..

خديجة : هي ذات احتشـام

تستحــي من زائرينـا

(تقبل الخادم بعدة الشاي)

علويـة : ومــــاذا ؟

خديجة : قصدُنـا الأنـسُ وطيـبُ النّـدام

علويـة : قَســمًا أشْـرَبُ إلاّ إذا مــا نشرتْ حُسـنٌ بسـاطَ المـدام

خديجة : (مبتسمة)

أتُجيديـن احتيـالاً كهــذا ؟

علويـة : إنما أمْلَــى احتيـالي هيامـــي

(تقوم خديجة ثم تقبل وتقبل وراء ها حسن تمشي على استحياء)

علويـة : (قائمــة)

مرحبًا بالبــان يهــتزُّ لينًا ! مرحــبًا بالبــدر بـدر التمام !

(تدنو فتقبل حسنا على خدها فتقبلها حسن على رأسها وتجلس إلى عدة الشاي)

يـوْه ! مــا أجملهــا مــن فتـاةٍ يــوْه ! مـا أصلحهـا لهُمـام !

صلـواتُ ا لله تغمــــر طــــه وحماهـا ا لله مــن عــين رام

(يخفق قلب حسن ويتصاعد الدم إلى وجنتيها فيتوردان وتطرق حياء وتتشاغل بإصلاح الشاي)

خديجة : **(في تجاهل واستغراب)**

مَــن همــام ؟

علويـة : تسأليـنــي عنــه ؟ ليس يخفـى البـدرُ بـين الأنـام !

ذلــك المُصْلِـح زَيْــنُ شـــــباب القُطر ذو الهمةِ والإعتزام

ذلــك الحــالي بكـــل جميــل ذلــك العــاطل مــن كـــل ذام

ذلك المشهــور في كل قُطـر بمزايـــاه الكِثـــارِ العِظـــام

والذي ســارت بحُســنِ قوافيــ ـــه إلى مصر وأقصــى الشــام

(تلاحظ ارتياب خديجة فيما إذا كانت هي رسولاً من همام وسفيرًا له)

لا تظنيــني رســولَ هُمــام أنـا لا أعـرف شــخص همــام

إنمــا آســفُ أنَّ كريمًــا مِثلَــه يُمنــى بقــوم لئــام

هــو يسـقيهم كئـوسَ حيـاةٍ وهــمُ يسـقونه كـأس سـام[1]

خديجة : مــا تقولـين ؟ أليـس همــام حاد عن نـور الهـدى للظـلام ؟

ودعــا النــاس إلى أن يقولــوا فيه مـا قـد زَوَّروا مــن كــلام

علويــة : مــا اســتطاعوا أن يَزُنّــوا إلا بــالذي يُعليــه أسمــى مقــام

خديجة : إن قلبــي ليَــودُّ همــامًا ورضــى بنتي أقصى مرامي !

(تلاحظ علوية من كلام خديجة أنها مقتنعة بحب حُسن لهمام فتقاطع حديثها وتلتفت إلى حسن قائلة) :

أتحــبين همــامًا :

حسن : **(في تلعثم وخجل)**

ومَــن لا يعــ .. ــشق الحُرَّ الحسيب العصامي

فـرَع النــاسَ بعلــم وخُلــق وجِهــادٍ في الهــدى واعــتزام !

خديجة **(عائدة لتتمة حديثها)**

غير أنــي لا أطيـق كـلام النــ ـــاس في زوج ابنــتي بــالملام

فـلزوج البنــت عنـدي محــلٌّ في السـويداء مــن القلــب نـام

خــبّريني كيــف أدفــع عنــه حين يُرمى بـالفِرَى وأحــامى

ليتـه خلّى زمـام الـورى فيــ ــهم ، فما كـان بـربِّ الزّمـام

فيــم يهتــمُّ بأمـر ســواه وهـو لـمّا يَعْــدُ سنَّ الغلام ؟

---

(١) السام : الموت

لـو تملـى بليـالي صبـاهُ فمضـت في غبطـة وسـلام !
لـو تخلى عـن شـؤون البرايـا وتولّـى شـأنه باهتمـام !
وتعامـى عنهُـمُ !

علوية : هـو يخشـى غضـب اللّـه لهـذا التّعـامى
فالذي يكتـم علـمَ الهـدى يُلْـجَمُ مـن نـار لظـّى بلجـام
إنمـا ضـرّ البرايـا تعـامى هـؤلاء العلمـاء الضخـام
يبصـرون النـورَ وهـو مضـيء فيلـوذون بسـتر الظـلام !
ويـرون النـاس في ليـل جهـل يتدجّـى أفقـه بالقتـام
يـتراءمون علـى كـل قـبرٍ ومصـاب الديـن في ذا الـترامي
ويـرون المنكـرات عظامًـا فـتراهم عندهـا كالعِظـام
ويقولـون : لنـا بـالألى قـد غـبروا مـن قبـلِ حسْـن ائتمـام
أنـرى نعـزو إليهـم ضـلالاً وهـم أمثلـةُ الاعتصـام ؟
مثـل هـذا عذرهـم وهـو عـذر سـوف لا يقبـل يـوم القيـام !

* * *

فخليـق بفتـى كهمـام أن نـرى غيرتـه في اضطـرام
إذ يـرى موطنـه في انحطـاط ويـرى أمتـه في انقسـام
دب فيهـا داءُ جهـل وخلـفٍ وعـداء قـاتلٍ وخِصـام
فانـبرى ينعشـهم مـن خمـول ومضـى يوقظهـم مـن منـام !

خديجة : فهبيـني قـد رضيـت ، فمـن لي بشهابٍ وهـو صعـب الزمـام ؟
وهـو لا ينفـي ويثبت أمـرًا بسـوى رأي (الوليّ) الإمام !

جاءه من قبل عشرين يومًا فنهاه عن قبول همام
ورجا تزويج حُسن (لبكرٍ) فبه اليمن وحسن الوئام
قال : إن المصطفى يتأذى من همام ، قلبه منه دام
وأولو البرزخ سوف يغيرو ن عليه عاجلاً بانتقام

علوية : (في غضب)

ذلك الدجّال لا ريب فيه أوليٌّ الله عبد الحطام ؟؟
قد رشاه بالريالات بكرٌ والرُّشى للقطب غير حرام
أفؤاد المصطفى غير راض عن غيور عن هداه يحامى ؟!
وأولو البرزخ كيف يغيرو ن على حيٍّ وهم في الرجام ؟؟
معشرٌ ماتوا وصاروا إلى النيـ ـران ، أو صاروا لدار المُقام
تُرَّهاتٌ جعلوها من الديـ ـن ، تعالى ديننا المتسامى !

* * *

المشهد الثالث

(علوية تزور زهراء في بيتها)

علوية : صديقتي ! إنـي لمشتاقةٌ إليكِ

زهراء : واشوقي للقياك !

(تتعانقان بلهف)

أهلاً بمأتاك ، وشكرًا لذكـ ـراك فقد جرّتك ذكراك

علوية : عندىَ بشرى لكم

زهراء : بشّرى علّ المنى في طيٍّ بشراك

علوية : أيـــن همـــام ؟

زهراء : أهـي بشـــرى له ؟ هاتـــي أطـــال الله محيـاك !

فإنـــه ثـــمَّ علـــى حالـــةٍ من الأسى يبكـي لها البـاكي !

علوية : يبكـي لهـا البـاكي ؟ ألا ويحـه ويـح لـذاك الأسـد الشـاكي !

زهراء : هـاتي أبيـني : مـا الـذى جئتنـا بـــه ؟ رعـــاك الله مـــولاك

لعـلَّ أن تفثـأ عنـــه الأســى يمنـاكِ ، مـــا أبـــرك يمنـــاكِ !

علوية : خديجـة لَيَّنـــت مـــن قلبهـــا على همـــام

زهراء : هـــل جـــرى ذاك ؟

كيـف وأيـــن ومتـــى ؟

علوية : زُرْتُهـــــا أمـس وهـاكِ مـا جـرى هـــاكِ

« تقص عليها حديث أمس كلـه مما جرى بينهـا وبين خديجة وحسن .

تستأذن زهراء لتبشر هماما . تنطلق إلى غرفته وتعود بعد حين إلى علوية » .

زهراء : بشـــرته فـــانهملت عينـــه مـــن فـرح مـــا كـــان لـــولاك

وقـــام مـــن مضجعـــه ناهضًـــا يشـكر حـــقَّ الشـكر مسـعاك

علوية : لم آت مـا أُشـكر مـن أجلـه !

زهراء : بمثـــل ذا اللطـــف عرفنـــاكِ

إن همامًـــا قـــانع في الهـــوى بكذبـــة مـــن فـــم أفـــاك !

ويـــأخذ اللفظـــة فـــألاً لـــه مـــن قصـــةٍ يوردهـــا حـــاك !

وقد يـــرى الحليـــم فيعِنـــدُه نور رجـــاء وســـط أحـــلاك

فكيف لا يبكي سرورًا وقد جاءته بشرى مثل بشراك ؟
أما شهابٌ فله خِلُّه محمد ذو الخلق الزاكي
لازلتما عون أخي دائما والله يرعاه ويرعاك !

* * *

المشهد الرابع

« سالم في بيت السيد (ولى الله) لتحقيق المهمة التي كلفه محمد إياها . يدخل على ولي اللّه في غرفة فخمة مزدانة بكل ما يستطاع الحصول عليه من الفرش الثمينة والمتاع النفيس . يجده مستندًا إلى جمهرة من الوسائد مادًا رجليه لرجل عنده يكبسهما ».

سالم : سيدي يا صاحب السر العظيم يا ولي الله يا غوث العديم
متّع اللّه بمحياك الورى إنما وجهك مصباحُ العتيم
الولي : مرحبًا بالخادم البرِّ الذي خصه الرحمن بالقلب السليم
حَسِّن الظن بأهل السرِّ يا خادمي تحظ بجنات النعيم
آه ـ لو يعرفني هذا الورى لأتوني من قصيَّات التخوم
أنا جيلانيٌّ هذا العصر ، قد وطئت رجلاي أعناق النجوم
خضت بحرًا وقف الخلق على ساحليه في ذهول ووجوم ـ
من رآني أو رأى من راءني فهو محظور على نار الجحيم
أهل هذا القطر ما دمت به في رخاءٍ وهناءٍ مستديم
يولد الطفل على عيني ، كما يرحل الراحل أو يغني المقيم
أسعد الناس بنا أحسنهم نيةً فينا فذاك المستقيم

وأشدُّ الناس خسرًا من بنـا ساء ظنًا فهو شيطان رجيم !
ذاك في نار لظـّى مهما يكنْ كامل التقوى يصلي ويصوم !
ولقد قام أخيرًا ناشئٌ صرفته عن رضى الله العلوم
رام إسقاط مقام الأوليا جاهدًا ينفث في الناس السموم
زاعمًا أنّ الورى في ضلةٍ وهو يمشي وحده النهج القويم
هكذا من كان لا شيخ له من أولى الباطن في الغي يهيم!!

سالم : سيدي علَّ همامًا قصدكم ذلك المفتون بالرأي السقيم

الولي : نحن لم نعن سواه

سالم : أننا لي في علاج الناس أسلوب حكيم
ربما اسطعتم به إن شئتم أن تردوه عن الغيّ الذميم

الولي : أنت لا تستطيع أن ترجعه للهدى أو تحييَ العظم الرميم
إنَّ هذا لمحال !

سالم : إنّني بالذي يُغري همامًا لعليم !
إنّني أعرف مثوى ضعفه فسأرميه بنبلي في الصميم
إنّه يهوى فتاةً لشها بِ هوى قيس لليلي في القديم
هو في غير الهوى ضرغامة وهو في الحب ضعيفٌ كالظليم
وشهابٌ خاتمٌ في كفّكم ليس يعصى لكم الأمر الكريم
لو سعيتم لهمامٍ عنده فضمنّا لكم أن يستقيم !

الولي : (**في غضب وهياج**)
ليت شعري كيف أقضي حاجة لفتى نغص من عيشي النعيم ؟
كبه الله على منخره ! وسقاه الله في النار الحميم !
كم عناني أمره من ماردٍ ! ولكم عذّب قلبي بالهموم !

والـذي نفسـيَ فـى قبضتـه — وبـه السَّبْع السماوات تقـوم !
نحـن لـولا أنَّ في غضبتنـا — حِطةً من رتبة (القطب) الحليم
لضربْنـا ضربـةً تنسِـفه — وتركنـاهُ كمـذْروٌ الهشـيم
وأصـابتْ بيتـه نائبـةٌ — تذهل المرضع عن رعي الفطيم

سالم : إنمـا نقضـي علـى أنفاسـه — إن جعلنـاه إليكـم يسـتنيم
إنَّ هـذا هـوَ الـرأي الـذي — يحفظ الناس من الـداء الوخيم

الولي : أتـراه يرعـوي عـن غيّـهِ — إن أعنّاه علـى نيـل المـروم ؟

سالم : ذاك مـا لا شـكَّ فيـه ، وأنـا — لكـمْ بـالكفِّ عـن ذاك زعيـم

الولي : خـادمي ! رأيك هـذا صائب — فهمـام خطـرٌ فينـا عظيـم !
غـير أنَّ الأمـر قـد فـات ولم — يبق في الرأي مجـال للحكيـم
قـد خطبناهـا (لبكـر) قبلـه — وحبانـا منـه بالمـال الجمـوم
فرميناه (بصنـدوق القـرى) — لغريـب أو فقـير أو يتيـم !

(**يسكت قليلاً ثم يقول**)

كـم همـامٌ دافعٌ مـن مالـه ؟

سالم : — ضعف بكر أيها المولي الكريم

الولي : ذا إذًا ألـف ريـال ! هاتـه — قم ! وثق أنّا سنقضي مـا يروم
إن بكـرًا ذو غنـًى ، لكنـه — يـابس الكـفِّ شـحيحٌ ولئيـم !
سـيرى عاقبـة البُخْـل غـدًا — عندما يُخْطِئه الوجـه الوسيم !

(**يستأذن سالم بالانصراف فينصرف . يعود إلى بيت ولي الله من الغد**)

سالم : قد فعلنا كلَّ شيءٍ وظفِرْنا بهمام
وارتضى ما قد شرطنا ه عليه بالتزام
وهو مسرورٌ بهذا شاكر سعي الإمام
تاركٌ دعوته النُّكْراء من أجْل الغرام

الولي آخذ أن ليس يؤذيكم بفعلٍ أو كلام

سالم : أينَ ما أعطاك ؟ هل أقبلتَ بالمال الـلزام ؟!

الولي : هاك تحويلاً إلى « جاوَا » بألف بالتّمام
(**يمد يده للتسلم**)
هاته ليس لِجَيْبي بل لصندوق المقام !!

* * *

المشهـــد الخامـــس

بين ولي الله وشهاب :

الولي : جـاءَني الليلـة آتٍ في المنـام صائحا يهتـف حسـنُ لهمـام
إن بكـرًا فسـدت نيتـه فـي توليهـا بحـبٍّ واحـترام

شهاب : إنـه يـا سـيدي مبتـدع

الولي : إنـه قـد تـاب عـن هـذا الإثـام

شهاب : **(في استغراب)**
ومتـى تـاب ؟

الولي : أتـاني نادمًـا أمس مما بثَّ في النـاس السمام
إذ دعونـا الله أن يهديـه سمـح الله بـإدراك المـرام

شهاب : **(في خضوع وتسليم)**
ليكـن مـا شئتم يـا سـيدي نحن نرضي رأي مولانـا الإمـام

* * *

المشهد السادس

بين زهراء وخديجة :

زهراء : صديقتي ! إنَّ قلبي مما فعلتم لموجعْ
أشتاقكم غير أني من وصلكم أتمنَّعْ
فإنَّ جرحي منكم فيه الأسا[1] ليس ينفعْ
ولو أطعت صوابيَ ما جئتكم أتسكع

خديجة : زهراء : لا بأس بالعتب فهو للودّ أجمَع
ما ساءَ قلبك مني ؟ قولي لعلي أرجع !
فربما خبٌّ واشٍ فينا إلى الدحس يهرع[2]
وذا زمانٌ لئيمٌ فيه المودات تقطع

زهراء : إن همامًا شقيقي له بقلبي موضع
فنيلكم منه نيلٌ مني بغير تورُّع

خديجة : زهراء ! أسرفت في تهْمَتِي ، فبَعْضَ التسرُّع
فما ذكرت همامًا إلا بما عنه يسمع
من الخروج على الناس في تقاليد تتبع
قصصت ذاك لعصماءَ من بنات المشفع
لأنها لهمام رأيتها تتشفع
قامت تدافع عنه بحجج ليس تدفع

(١) الأسا : مصدر أساه يأسوه داواه أي لا تنفع المداواة فيه .
(٢) الدحس : إفساد المودة بين الصديقين .

وإن قلبي ليهوى حبيب (حسن) المشيع

زهراء إذن فماذا التأبي منكم وهذا التمنع ؟
إلا رحمتم فتًى من هجرانكم يتوجع
تكاد أحشاؤه من نشيجه تتقطع

خديجة : إن الإبا من شهاب وما لما شاء مدفع
لأن رأي شهاب للعارف القطب يرجع

زهراء : (في غضب)

القطبُ لِصٌّ عن الإرتشاء لا يتورّع
يشرى ويبتاع « حُسنًا » خلف المطامع يهبع
كأنها سلعة في السُّوق تحطّ وترفع
ألمْ يبعها « لبكرٍ » ذاك البغيض المُدفع ؟
كأن سود الدياجي بوجهه تتلفع
ثم ارتجي من همام همام ألفًا لكي يتشفع
وربما باعها في غدٍ لزيد ومرتع
والناس ظنّوا أباكم تسلم المال أجمع
إن الوليّ عن السوء عندهم يترفع !
أبوكم ليس يدري مما عن الناس يسمع
ولو درى لتبرّا من الوليّ المرقّع

خديجة : (وهي تتألم) :

أقد تُحَدّثَ عنا بذاك في كل مجمع
يا ويلتاه ! أنؤتي من حيث لا نتوقع ؟
إنا أناسٌ على عزّ نحامي وندفع

أعراضنـــا هـــي أغلـــى مـــا في الحيـــاة وأمنـــع
لـو كـــان يـدري شـهابٌ لمـــا تهنّـــا بمضجـــع
وسـوف يـدري عسـى عـن هـــذا المدجـــل يُقلـــع
(تتنهد وتستعبر)
يـا ليـت (سـعدًا) لدينـا في أمرنـــا اليـــوم يقطـــع
لمـــا ألانـــا اجتهـــادًا في أخـذ مـــا هـــو أنفـــع
لكنـــه غـــاب عنّـــا تسـع سـنين وأربـــع
في أرض (جـــاوا) الـتي تـأكل الرِّجـــال وتبلـــع
راحَ ليجمـــع مـــالاً لنـــا بـــه نتمتـــع
يـا بئـس مـا جمعـت كفّـــه ومـا هـو يجمـع !!
مـــاذا يفيـد الغـني مـن يخسـر أهـلاً ومربـــع
تزوجـت « مزفـةٌ » عُـرْ سـها بـه لم يُمَتّـــع
تُسـأل : أيـن أبوهـا ؟ فـلا تُجيـب ، وتدمـع
وهـذه أختهـا أوشـــكت تـزف وتخلـــع
فواشـــقاءَ حيـــاةٍ فيهـــا الفـــؤاد مـــوزَّع

* * *

المشهد السابع

(بين سالم وشهاب) :

سالم : مـــــالي أراكَ كئيبًـــــا ؟ مُنْتَقَمًـــا يـــا شـــهابُ ؟
فمـــا أصـــابكَ ؟ قـــل لي

شهاب : إنـــي بخطـــبٍ مُصـــابُ !
ذاكَ الـــذي كـــان يدعـــي بذكْـــره ويُجـــابُ
ومَـــنْ بغرتـــه كـــان يُسْـــتَدَرُّ السَّـــحاب !
مـــن كنـــت أبصِـــرُ أخطـــا ءَه وهُـــنَّ صـــوابُ
قـــام يُلـــوِّثُ عرضـــي بمـــا بـــه النَّـــاس عـــابْوا
فقيـــل إنـــي طَمُـــوع بالمـــال وهـــو كِـــذَاب
لـــولا المُدَجِّـــلُ هـــذا لمـــا علانـــي عـــابُ
لله درُّ هُمـــــام فهـــو الحكيـــم العجـــاب
إذ قـــال : أمثـــال هـــذا في المتقـــين ذِئـــابُ !!
وإنمـــا ســـــترتهم عـــن العيـــون الثيـــاب !
فمـــا نـــراه شـــرابا مـــا هـــو إلا ســـراب

سالم : أنـــا الـــذي ســـلّمته مـــالَ هُمـــامٍ بيـــدي
فـــلا تكـــن مـــن أمـــره في شـــكٍّ أو تـــردُّد
إن هُمامًـــا لَلعصـــا مـــيُّ الكريـــم المحتـــد
مهمـــا يقـــل فإنـــه زيـــنُ شـــباب البلـــد
رآك لا تصغـــــي إلى غـــير كـــلام (الســـيد)

ولم يجـــد إلا وليّ الله خـــيرَ مسـعد
فلـم يـدع رأي صديــقه الفتــى « محمـد »
ولم يكـن ذاك الــذي يهــدي الــورى بمهتـد
مَـدّ إلى الدرهـم جيــدَ ذِلّــةٍ في صَيــدٍ !!
وكــان مــا كــان فــلا تغضــب ولا تفنّــد
أنــت عليــك الغُــرم والغـم لــرب المــدد !
هــذا جــزا تــارك رأيــه لــرأي أحـــد !!

* * *

المشهـــد الثامـــن

(بين شهاب وبكر) :

بكر : يا عـم مـا الـذي جـرى ؟ ردَدتَ مـنيَ اليــدا
ألســت قــد قبلتــني فمـا عــدا ممــا بــدا ؟

شهاب : (يتجلد ويخفي غضبه)

حظـك يـا بكـر الــذي حــلاً عنــك المبــوردا
فــاطلبْ ســواها تلــقهنّ كالرمــال عــددا

بكر : (في وقاحة)

وأيـن أمــوال الــتي أنفقــت فيهــا بـــددا ؟

شهاب : لمــن دفعتهــا ؟!

بكر : لمــو لانــا الــوليّ المفتــدى !

شهاب : (في سخرية)

إذن فخذهـــا منـــه لا تطلـــب ســـواه أحـــدا

بكر : (معترضًا)

أعطيتـــه لأنـــه كـــان لكـــم معتمـــدا

شهاب : (في غضب)

خســئتَ يــا نــذلُ فقــم وخــلِّ عنــك اللـــددا !

أليـــس فينـــا حاكـــمٌ يحـــكم هـــذي البـــلدا ؟

فاشـــكُ إليـــه مـــن علـــى مالك ـ إن شئتَ ـ اعتى !

بكر : (في تضعضع وخجل)

إذن ... فمـــالي كلُّـــه

.. أكلـــه .. وازدردا ..

إذن ... فلـــم يعطـــكَ مـــن مـــاليَ ... شـــيئًا أبـــدا .. !

أمـــا اكتـــفى بمـــا ارتشـــاه نصفَ ألـــفٍ عـــددا ؟

يـــا ويلتـــا ! واحســـرتا ! واحزَنـــا ..! واكمـــدا !

لأرفعـــنَّ أمـــرَه إلى الأمـــير « أمجـــدا »

أفضحـــه عنـــد الـــورى ..!

شهاب : (وقد سرى عنه)

الآن أبصـــرتَ الهـــدى !

بكر : (يتنهد)

فليمـــض مـــالي لظهـــور ســـيئاته فِـــدَي !!

* * *

المشهـــد التاســـع

(همام في مجلس الأمير « أمجد » وقد دعاه إليه) :

الأمير : أتــدري يــا همــامُ لأيّ أمــر دعوتـــك لي ؟

همام : لخــير يــا أمــيري ؟

الأمير : ألم تعلــم بمــا اجترمتــه كفــا ولي الله مــن إثــمٍ كبــير ؟

همام : بلى هــذا حديث قــد فشا في حمانــا في الكبــير وفي الصغــير

الأمير : فمــاذا أنت يا سنــدي مشير به في مثــل ذا الأمر الخطــير ؟

همام : أرى أن تَحْبســـوا الجانــي وأنْ لا
تمسُّـــوه بســـــوء أو نكـــير
فمطلق حبسه كاف ـ أراه ـ لردع ســواه مـن أهـل الشـرور

الأمير : ولكـن والـدي يخشــى علينــا ـ إذا عاقبتـه ـ سوءَ المصــير
يُحـاذِر دعـــوةً منـــهُ علينــا فتُلحِقُنــا بأصحــاب القبــور

همام : أمير ما عهدتـــكَ غير حـــرٍّ طليـــق الفكر متقد الشعـــور
وحسـبك ما قـــرأت عليـــك طـــردًا
لأوهـــامِ توســـوس في الصُّـــدور
أتعـــرفُ إثمـــهُ وتخـــاف منـــه ؟
أتقبـــل دعـــوة العاصي الكفـور ؟؟
كـذاك الوهـم تُشـربه نفـوس فتشـهد مـا تُخيَّـل مـن أمـور
وقـل لأبيـك ذا بكـرٌ شـــكاه وهتَّك مـا عليـه مـن ستور
فلو كان الولي لديـــه حـــولٌ لكان رمـــاه بالسهـــم المبير

فـإن تحبسـه جئـت بـه دليـلا　يسـجِّل عجز أقطـاب الغـرور
فليـس أذاه مقصـودًا ولكـن　لِيَبْطـل سـحرهُ بيـد الأمـير !
الأمير : لقـد قـررت هـذا الـرأي قبـلاً　فبـورك في ذكـائك مـن مشـير
وإن الدّجل أبغض كل شيءٍ　على الدُّنيـا يضيـق بـه ضمـيري

* * *

المشهـــد العاشـــر

(يأتي لزيارة محمد فيستقبله محمد في غاية الحفاوة)

شهاب : محمدُ أنـتَ الجـريءُ الفـؤاد　وأنـت صديـق هُمـامَ الـوفي
فلـو كـان مـن ربِّـهِ مُرسـلا　لكنـتَ حواريَّـه المقتفـي
وتعلـم مـا كنـت أوذِي هُمـا　مـا بـه غيرَ هـادٍ ولا منصـف
أتـابعُ في أمـره مُفسـدًا　يبيـع ويبتـاع بـالمصحف !
وإنـي علـى مـا مضـى نـادمٌ　وأنت بإصلاح أمري حفـي[1]
محمد : ألا مرحبًـا بالسَّـليم الفـؤاد　وبالطَّـاهر السيرة الأشـرف
بعتم حبيْبة خير الرِّجال بمن لا　بصهْـر هُمـام الوديـع الصَّفـي
بمن لا يُقِـرُّ علـى المنكـرات　وليـس يُطـاطئُ للمِعْسَـف[2]
همـامٌ يُحبّـكَ مهمـا فعلـتَ　بـه عـن ولائـك لا ينتفـي
يـراكَ أبـاهُ فمهمـا قسـا　عليـه لتأديبـهِ يعطِـفِ

---

(١) عارف وخبير .　(٢) هو الظالم الشديد العسف .

(يبتسم شهاب وتتهلل أسارير وجهه)

شهاب : فللـه مـا كـان أنْقـى همـا مًا وأشـرفَ أخلاقـهُ الساميه !
أضارسُـه ثـم يبقـى ودودًا علـيَّ طويَّتـه صافيـه ؟

محمد : بقـدر نبالَـةِ أخلاقِـهِ يحـبُّ حبيبتَـهُ الغاليـه !
تمـادي بـه حبُّهـا فهـو لا يقِـرُّ القـرار لـه ثانيـه !
يبيـت يناجي نجـوم السـما ء ويخضـع أدمعـه العاصيـه !
ويجلـس في بيتـهِ للطّعـا م إذا مـا أجـاب لـه داعيـه !
فيُذهلُـه الحـبُّ عمـا لديـه حتـى لتنكفِـئُ الآنيـه !!
وإنـي لأخشـى عليـه ـ إذا تمـاديتم ـ الضربـة القاضيـه
هنـالك نخسـر زَيْـنَ الشـبا ب ونحـرَم أنفاسَـه العاليـه !
ويسـألكَ الله عـن مهجـةٍ ـ قضـت بـك مصلحـة هاديـه

شهاب : (وهو يبكي)
كفـى يـا محمـد ! إنـي أتيـت لتكفـير أعمـاليَ الخاطيـة
فلو كان ذنبُ هُمـامٍ فحسب علـيَّ لخـفَّ علـى باليَـه
أزَوِّجُـه اليـوم مـن حسـنِهِ فيغفـر زلاّتـي الماضيـه
ولكنـي قـد عصيـت الإلـه وعرّضـت نفسـيَ للهاويـه
لقـد غرَّنـي وعـد ذاك الـوليّ بمحـو خطيئـاتيَ الخاليـه
وبشَّـرني أنـه قـد رأى قصـوريَ في الجنـة العاليـه
فلـم أتـزوَّدْ لـدار البقـاء اتّكـالاً علـى الزُّلـفِ الواهيـه
فـأيقنت ذا اليـومَ أن ليس ينـ ـفعني غـير أعمـاليَ الزاكيـه
وأن ليـس يمحـو خطايـايَ غير النّصوح مـن التوبـة الماحيـه
نصـائح كـان ينـادي بهـا همـامٌ فـنرمي بهـا ناحيـه
فها قـد بـدت لجميـع الأنـام مخـازي مُدجلنـا الغاويـه

محمد : سلامٌ عليك دموعك هـ ـذي لتطهير أدرانها كافيه
فلا تبتئِسْ ، إن ربًا هداكَ ليبغي بكَ الخيرَ في الثانيه

« يريد شهاب النهوض فيمسكه محمد قائلا »

وأمرُ هُمام ؟؟

شهاب : وماذا يريد همـ ـامٌ وليس لحُسْنٍ سواه
هي اليومَ بينَ يديه وما مُناي مِن الدّهر إلا رضاهْ
ولكن. حديث (الرُّشى[1]) المسـ ـتفيض شوّش أفكار أمِّ الفتاه
فما زال يلهَج أهل الحِمى بأن (الوليَّ) همامٌ رشاه
وأن شهابًا تسلّم أموالَ بكرٍ و لم يُعطه مُبتغاه
فقالت نؤخّر تزويجَ حُسـ ـنٍ لِنقطع ألسن هذى الوشاه
فما كان لِلمال إيثارُنا ولكن لعلمٍ وفضل وجاه
فأوص صديقك أن يطمئنّ إلى الصبر حينًا ليلقي مناه

محمد : ألا ليت شعري ماذا يقو ل همامٌ إذا رُعته بالخبر ؟!
أقدّم باقة زهر له وأطوى له الصّلّ بين الزهر
فلو رُحت تنصَحُها بالعدو ل عن رأيها ! علها تأتمر !
علامَ تبالي كلام الطّغام وما ينطقونَ بغير الهذَر ؟
وأعيان (سيوونَ) تدري الـ ـحقيقَ وبعد غدٍ يظهر المستتر
سَيُحْبس هذا الوليُّ الشقي وتفضح سوءاته والعرر

---

(١) جمع رشوة .

شهاب : لعلـكَ تجهـل أنّ النسـاءَ إذا قلـن شـيئًا فهُـن القـدَر
ولا يَرعويـن عن الـرأي لـو وضَعْـتَ بأيمانِهـنَ القمـر
فكم قد سعيت وكم قـد نصحت ولكـن كـأنّي نصحت الحجـر

محمد : إذن لـن يطيـق همـام المقـامَ هنـا ،

شهاب : لـيرحْ نفسـه بالسـفر
إلى الشام أو مصر أو للمهاجَـ ـر (جـاوَةَ) أو للبـلاد الأخـر
وبعـدَ ثلاثـين شـهرًا يعـو د ، وسوفَ تمـرُّ كلمـح البصـر
هنـالك تبلـغ سِـنَّ الـزّواج (حُسْنٌ) وتنضج نضـج الثمـر
وربَّمَـا عـاد (سـعدٌ) إلينـا فـيزهو بـه عُرْسنا إن حضـر

(ستـار)

الفصـــــل الثالـــث

المشهـــــد الأول

« بين همام وزهراء » .

زهراء : (في جزع)

أهمـــامُ خـــبّرني بـــودّك لي   مـــالي أراك تنضّـــد الكتبـــا ؟
مـاذا اعـتزمتَ أأنـــت تاركنـــا   للحادثـــات تســومنا الكربـــا ؟

همام : (في حنو)

لا يـا أخيَّـــة ! أجملـــي جزعـــا   لا ينـــس قلـــب المؤمـــن الربـــا
سـفري لطـول إقـامتي سـببٌ   ولـرُبَّ بُعـدٍ أعقـــب القُربـــا

(يتغير وجهه)

إنـى أخـــافُ إذا مكثـــتُ هنـــا   أن لا أطيـقَ فـــأقضيَ النّحبـــا !

(يخالط صوته البكاء)

أيسرُّ قلبـك أن أمـوت أســـىً   في الرَّبـع إذ تبكيـــنني ندْبـــا ؟
أو ما رأيـــتِ القـوم قـد قطعـوا   صوتَ الحيـاة وكـان قـد لبيّ !
حفلوا بسمعتهم ـ كما زعموا ـ   لكنّهـــم لم يحفِلـــوا الصَّبـــا
لِيمُـت شـهيدًا مـن يشـاءُ ولا   يتوهمـــوا في عِرضهـــم ثلْبـــا
آه ! أهـــذا كلُّ ما أ تمنـــى ؟   ولقد وهبتُ الـــروحَ والقلبا !

(يتذكر حسنا ويستحضرها كأنها ماثلة أمامه تسمع ما قاله فيستحي مما تكلم به في أهلها)

يا حسنُ ! معذرةً فأهلك نـا ... لهـم الملامُ ومـا جنَـوْا ذنْبـا
حـاولتُ عَتبهـمُ بتَـوْءدةٍ ... لكنـني لم أُحسـن العتبـا
ورضاك همي في الحياة ؛ فإن ... ترضَىْ رأيـتُ عذابهـا عذبـا !
وإذا غضبت غضبت في بصري ... فـأرى الخليقـة كلها غضبى !

(ينتبه من ذهوله إلى أنه بحضرة أخته الحنون)

زهـراء خليـني لأرحـلَ عـن ... هـذي الديـار فأسـلوَ الحبّـا
فلقـد لقيـتُ بـه دواهـي لـه ... رُعْـنَ الجبـالَ تركنهـا تربـا
هيهـاتَ هيهـاتَ السُّلوُّ ! ويـا ... ليـت السلوَّ يُبـاع أو يُحبـى !
أفكلمـا سَـفَرَ اللقـاء أتـى ... آتٍ فسـدَّل دونـه الحجبـا !
أو كلمـا ابتسـم الربيع لنا ... جـرت الدبـور وهبَّت النكبا ؟

زهراء : **(آسفة على أن هيجت أخاها مشفقة عليه)**

عفـوًا هُمـام فليـسَ قصـ ... ـدي أن أهيجك يا ابن أمـي !
لكـن شـجاني أن تفـا ... رقنـا وتركـب ظهـر يـمّ
إنَّ البـلاد لسـوف تَفْـ ... ـقد فيـك نجمًـا أيّ نجـم
نجـمٌ يفيـض هدايـةً ... وسـناهُ مـن خلـق وعِـم
تبًّـا لدهـر دأْبـه ... يَرمـي أفاضِلـه فيُصمـى
أيصَـدُّ مثلـك عـن مطـا ... لبـه ويُمتَـع كـل فـدْم ؟
أهمـام إن كنـت اعـتزمتَ ... علـى الرحيـل فخـيرَ عـزم
إذهـب وعُـدْ عمـا قريـ ... ـب بـين عافيـةٍ وغُنْـم
سـيكون ربـك حافظًـا ... لـك في الفـلاة وفي الخضـم
ولسـوف تـدرك مـا تؤمّـ ... ـلُ مـا ظللـت إليـه ترمـي
ثقـي بحسـن أن تُعيـد ... ك خففـت حـزني وهمـي

همام : (في حزن وأسف)

لكــنَّ حُســنًا لم تشــأ تنويــر خطــبي المدلهــمّ
كــم قــد كتبــتُ لهــا الرســا ئــل بــين منثــور ونظــم
فتصــدّ عنهــا لا تجيــب كأنهــا لا تعــرف اسمــي !!
وطلبــتُ منديــلاً لهــا ليكــون في الظلمــات نجمــي
ويكــون أنســي في البعــا د يكــفُّ مــن حزنــي وغمــي
آوي إليــه إذا نــزا قلــبي بضــم أو بلثــم !
ولقــد أتــاني ردُّهــا لكــن تعــثر فيــه فهمــي
وإليكِــهِ فاتليــه ثــمّ اقضــي على حُســن بحكــم

(يناولها رسالته إلى حسن وعلى ظهرها الرد منها)

الرسالــة :

حبيبــة قلبــي علّليــني بتنويــلِ
أَقَــضٌّ زمانــي في رجــاء وتأميلِ
بعثــتُ إليكِ الكتب تترى ، فلــم أفز
ببعــضِ جــوابٍ منكِ يا غاية الســول
كأني لم أحمــل هــواكِ ، ولم يكــن
لقــاؤك قصــدي في الحياة ومأمــولي !!
وهــذي النــوى قد أوشكت أن تميل بي
إلى عــالمٍ من رقعــة الأرض مجهــول
أقضّي به دهــرًا قضيتــم به علــى
حُشاشــة صــبّ عاثِــر الجدِّ مخذول

فجـــودي بما أمَّلـــتُ منكِ وأجملــي
وداعـــًا لمفتـــون بحُبـــكِ متبـــول
وإني لراضٍ منكِ يا حُسْـــنُ باللّقـــا
بقطعـــةِ ثـــوب أو بشقّـــةِ منديل ،
لعلـــي أسْطيـــع ابْترادًا من الجـــوى
بضمّـــي إيَّاهُ لصـــدري وتقبيلـــي ؟
همـــام

الـــــرد

جوابُكَ عنـــدي ما تظنُّ ، فلا تـــرم
بكُتْبـك إحراجـــي فإنك ذو علـــم
وإني فتـــاةٌ ليس أمـــري في يـــدي
فإن شئتَ فاطلـب ما تؤمّل من أمـــي
حُسن

زهراء : **(تلتفت إلى همام والكتاب لا يزال في يدها)**

همـام أمّـا جـوابُ حُسْـنٍ   فإنـــه أبلـــغُ الجـــواب
دلَّ علـى الحـبِّ والتفـاني   فيـكَ إلى عِفَّـةِ الجنـاب
وإنهـا إن تحـبَّ يومـًا   ففـي حمى الصَّون والحجـاب
إن كتابًـا يـأتيكَ منهـا   رسـولُ آمـالِك العِـذاب
ما تبتغـي أنـتَ فـوق هـذا   يأتيك من غـادة كعـاب ؟
لـولا هـوًى صـادقٌ لديهـا   لم تـر منهـا نصـف كتـاب
وسـوف آتيـك بالذي رمْـ   ـتَهُ فـلا تبـقَ في اكتئاب

المشهـــد الثانــي

(همام على حماره في طريقه إلى الساحل (المكــلا) بعـد أن شيعه إخوانه وأصدقاؤه . أمامه دليله البدري عامر يقــود جملا له يحمل زادهما)

همام : رويـدًا رويـدًا حِمَـار البعــادِ فـإنك تبعـدُ بـي عـن حبيـبي !

ولم يك خطـوُكَ فـوق الـترى ولكنه فـوق قلـبي الكئيـب !

أراك كنعـشٍ بجسـمي يسـيرُ ولكـن إلى غـير قـبرٍ قريـب !!

فيا بعـد (سَيْوون) عـني؟ ويـا ذنُوْكِ (جاوةُ) من ذي السُّهوب!

عليهـا الســلام سـلامُ الـودا ع، سلامُ البكاء ، سلامُ النحيب

سلام على حسن بين العذارى سلام على قلبهـا في القلـوب !

سـلام على دارهـا في الديــار سلام على دربها في الدروب ؟

سـلام علــى أهلهـا الطيبيـن مـن كـلِّ بَـرٍّ كريـمٍ نجيـب

سـلام علـى وَطـنٍ طـاهر تضوَّع منهـا بمسـكٍ وطيـب

سلام سلام على ساعدي الـ أشـدَّ وصِنْوى المطيع الأديـب

سلام على خـيرة الأصدقـا ء محمـدٍ الألمعـيّ الأريـب

سلام على لطـف زهـراء إذ تفرّج همي ، وإذ تعتـني بي !

(همام فى بلاد الأحقاف)

(يخرج المنديل من جيبه فيضمه إليه ويقبله)

أتعلم يا منديل أنّكَ مُؤنسي | وأنّك عندي للكريم المحبب
وما ضرَّ من ينأى ـ وأنت بكفه | أنيس نواه ـ أنه يتغرّب

(يمر على آثار مزارع قديمة مندرسة يتمهل في السير قليلا يتأمل في تلك الآثار) .

انظر إلى هذي السهول فقد | كانت مزارع ما لها حد
كانت جنانا لا فُجاءَ بها | ـ غير الممر لراكب ـ تبدو[1]
من عدوة الوادي القصيّ إلى الـ | أهضام من حَدْراه تمتدُّ
عمَر الجُدُودُ بها مواطنهم | فغنّوا وعيشهم بها رغد
ما بعد عام الألف ما قدُمَتْ | منه العهود وما بها بُعْدُ
لما تجفَّ بها مواطىءُ أقْـ | ـدام الألى اشتغلوا بها بعد
البُرُّ والسمراءُ ، والذُّرَّة الـ | ـبيضاءُ والأفواهُ والرندُ !
والنخل والأعناب حافلةً | بقطُوفِهن كأنها شهد !
والسِّدر يفرش في الفضا بسطا | من سُنْدسٍ خُضرا فينسد
فهنالك النعماء تخطر ما | بين الحقول يزينها البرد
لله عيشهم فلا كَدرٌ | يعتاق صفوهم ولا جهد
دَعْ عهدها العاديَّ من قِدَمٍ | فلقد تقادم ذلك العهد
إذ كانت الأنهارُ جارية | تحت الجنان كأنها الخلد !

---

(١) الفجاء جميع فجوة . ورد في الرحلة المتوكلية وصف حضرموت على عهده حوالي سنة ١٠٦٠ أنها كانت بساتين ممتدة من حضرموت إلى المسفلة لا فجوة بها خالية من الأشجار والزروع إلا مقدار ما يمر الراكب .

تلـك الحقـائق لا يُصدقهـا ... قـوم عيـون قلوبهـم رمـد
تلكـم بقاباهـا تـدُلُّ علـى ... مـا كـان ـ سَدٌّ دُونه سـد !
يحتـاز مـاءَ القطـر يقسـمه ... بين الأراضـي حُكمها القصـد
فنمت مزارعهـا فمـا فَتِئَـتْ ... فيهـا الغيـوث تـروح أو تغـدو
هي سُنَّةُ البـاري فمـا كـثر الْـ ... ـأشجار فالأمطـار تشـتد

* * *

قف سائل الآثار كيـف ذوت ... تلـك الخمـائل فهـي ذي جُـرد
تخبرك إن نطقـت : وربَّمـا ... نطـق الجمـاد وقولـه الرشـد
في بطـنِ أرضٍ أنـت واطئهـا ... همـم تصـول فليـس ترتـد
تصبـو إلى العمـل المفيـد تـرى ... أن السـعادة ركنُهـا الجـدُّ
فتلاهُـمُ خَلـفٌ كـأنهم ... لا سـاعدٌ لهـم ولا زنـد !
فَسَـبِيلُنا ترديدنـا أبـدًا : ... نعم الجـدود وبئسـت الولـد !!

* * *

(همام فى بلاد الأحقاف)

المشهــــد الثالــث

في منتصف الطريق على مقربة من الريدة (بلاد البدو)
(همام يلتفت ـ وقد كادت الشمس تغرب ـ إلى بدوية عامر)

همام : سر يا أخا البدو وحَثحِث جملك لا يُظلم اللّيلُ ويشـتدَّ الحلـك
ونحـنُ لـمَّا نـأت بعدُ منزلك أبلغـكَ الله بخـير مأمـلك
ولا أصـابَ الحـبُّ يومـًا مقتـلك

عامر : هُمام يا خـير سَـراة العُـرب لا تذكـر الحـبّ لِعـانٍ صـبِّ
متـى دعـا داعي الهوى يُلبّ إني أحـسُّ ضرَمـًا في القلـب
يدفـع في صَدري ويكـوي جنبي !!

همام : با لله هل تُعْرف معنى الحب؟ ومـا بـه مـن فـرَح وكـرب
وهل سَعِـدْت مرة بالقـرب أم أنت مثلـي مستطـار اللبّ
لـمّـا يَفُـزْ من حوضـه بشـرب

عامر : أنـتَ إذن يـا صـاحبي سـعيدُ وإنّـي وحـدي أنـا المعمـود
من بعـد ما طابَ ليَ الـورود حَلانـي عن حَوْضِها الصُّدود
فليـسَ ليَ صَـبرٌ ولا مَجلـود

همام : أنـت السَّـعيد وأنـا المنكـودُ فـالوَصل مهمـا قـلّ فهـو عيـدُ
تُشفَـي به من دائها الكُبـود لكنَّ هجـري الأبـدُ الأبيـدُ

ليتَ الزَّمـــان لي بــه يجــود وبعــدَه تطويـــني اللُّحـــود !!

عامر : يَظهـر لي مـن بعـض مـا أراكـا أنـك تهواهـا كمـا تهواكـا
يا ليت حظي من وجودي ذاكا إذن لكنت حامـدًا مـولاكا
وما شكـوت مِثـلَ مُشـتكاكا

همام : عـامر ممـا زادَنـي ارتباكـا أنّـا اشتركنا في الهوى اشتراكا
أشكو نواها وهي تشكو ذاكا فيَستهـلُّ مَدمعـي اشـتباكا
لـمـا بَلاهـا وبَـلا أخـاكا

عامر : (في حـزن)
لا تحسَبنَّ هَجرها هجرَ شـرَف لفـرط غنـج أو دلال أو ظَـرف
لكنه أشنَـع ذنب يُقـترف تَترُكـني زوجًا إلى غيري تزف
وصـكُّ عقـدِها معـي لما يجـفْ

همام : ربّاه في كـل مكـانٍ ذو شـغف يُسلمه الحـبُّ إلى مهوى التّلـف
رحماك بالعشاق من جور الهيف ما غار من غور و لم يَعل شـرف
إلا وفيـه مغـرَم القلب دنِـفْ

* * *

المشهـــد الرابـــع

(يصلان إلى حي عامر في الريدةِ (بلاد البدو) . يذهب عامر لسقي جمله وإراحته ويسلم هماما لأخته ناهية)

ناهيـة : (منتقبة لا يرى منها إلا عيناها)

أهـــلا بمـــن وافـــى دار أخـــي عـــامر
إنـــزل علـــى الرحـــب في المـــنزل العـــامر
وأمـــر بمـــا شئـــت فإنـــك الآمـــــر

(تهيء أدوات القهوة وتباشر إصلاحها)

همام : بـــورك يـــا أخـــتُ فيـــكِ وفي عـــامر
سَـــرَّيْتما عـــني بلبـــاليَ الشـــائر
سماحـــةُ البـــادي يجهلهـــا الحـــاضر

ناهية : **(منادية)**

هلـــمّ يـــا سُـــعْدَى هلـــمّ يـــا لُبْنَـــى !
لنلـــمّ حيّـــين ضيـــف أخيكنَـــا

(تدخل فتاتان جميلتان متلثمتان وتصافحان هماما . ينظر إلى إحداهما همام نظرة كالسهم . تلاحظ ناهية ذلك) .

ناهية : **(لهمام)**

إنـي أرى عينيـك عيـني شـاعر قـل مـا تشـاءُ ويـك لا تحـاذر
لا بأس عنـــدنا بلحـــظِ الناظر إنّا نـــرى العفّـــة في الضمائـــر

همام : رأيـــت بـــدرًا نصفـــه في السـحب والنصـف مبـين
هـبي عليهـا يـا نسـيم واكشـفي ذاك الجبـين !

(تضحك الفتيات وتقهقه ناهية)

ناهية : لــو أزاحـت لثامهـا لــك مـا أنـت فـاعل ؟
ولــو انجـابت السحائـ ـب مـا أنـت قـائل ؟

همام : سـأريها الغِـزال لـو أن بـدرًا يغـازَل
وسـتروي روائعـي في هواهـا القبـائل

ناهية : همـامُ ! مـا البدويَّـا ت عنـد غيـد المدائـنْ ؟
الموقَـراتِ مـن التـبرِ حاليـات المحاسـن
كأنمـا أنـتَ بـالبَد و سـاخر أو مداهـن !!

همام : لا والـذي فلـقَ الحَـ ـب ، سـرُّه فيـه كـامنْ
لفـي المَهَـى البدويَّـا ت معجـزات المحاسـن
لحـاظهن سـهام لهـا القلـوب . كنـائن
قدودهـن رمـاح في كـل قلـب طواعـن
جمـالهن الطبيعـي زاخـر بالمفـاتن

ألم تسمعي ما قال شاعر يعرب   أبو الطيب السامي على كل شاعر
تَحامي حسان الحضر في الشعر ناسبًا   بما في البوادي من مهيّ وجآذر
ما أوجه الحَضر المستحسنات به   كأوجه البدويات الرعايب
(حُسن الحضارة مجلوب بتطْرية   وفي البداوة حسن غير مجلوب)

(**يدخل عامر**)

عامر : يا مرحبًا بهمام النّدب   إنزل على سعةٍ على رحب !
هل تشركوني في حديثكم   فلعلّكم تجلونَ من كربي

ناهية : ضيفكَ يهوى البدويّات   ولا يحب الحضريات

عامر : أتحِبُّهن همام ؟ إنك شاعرٌ   ماذا تعشّق في ظباء الباديه ؟

همام : أهوى بساطتها وأهوى دلها   ولحاظها مثل السهام الماضية
وتُميلني سكرًا طِوال قدودها   وتَشوقني منها الخلال العاليه

عامر : إن كنتَ تعشقها فخذ لُبْنى   (**مشيرًا إلى لبنى**)
وخذ إن شئتَ سَعدى (**مشيرًا إليها**)
(**مشيرًا إلى ناهية**) أو فخذ لك ناهية

(**يضحك الجميع ويضج المجلس بالضحك**)

ناهية : أما أنا فلا أحبُّ شاعرا   يَلفِظني تمرًا ويهواني رطب

يُطالع الغيدَ الحِسانَ دهرَه فكلما أبصرَ حسناءَ نسب

همام : إني لأدرى من طباع الغيد ما يُبين لي من قولك المشْتبَها
لا شيء كالشاعر أحظى عندها وإن تكن تكرهه زوجًا لها

عامر : بأيّ شيءٍ يفْضلُ الشاعر يا همام عند الغانيات من عداه ؟

همام : لَقبلةٌ واحدة من شاعر أحلى وأشفى من ألوف من سواه
يودِعها مُهجته فيرتوي منها الهوى . وينقع الحب صداه
يطبَعُها على الجبين ذاكرًا كل خليل في الزمان وهواه !
كأنما يجمع تاريخَ الهوى بقبلة الخدَّين أو لثم الشفاه

(ينتفض انتفاضة فجائية كأنما تذكر أمرًا عظيما . ويبقى ساعة في ذهول)

أستغفر الحب لقد أشركتُ في عبادته
ماذا أقول لحبيبي خنْته في غيبته ؟
أيدَّعي هواه مَن يُخْفِره في ذمته

* * *

كأنني بالحب يبلو ني بسوط نِقمته
ألحدتُ في توحيده لم أخشَ من عقوبته
أكلما لاح جمال هِمت في صبابته ؟

ناهية : عـــامر ! مـــا للضيـــف لجَّ غارقًـــا في غشـــيته ؟
إنـــي أخـــاف أن يصـــا بَ في الحمـــى بميتتـــه

عامر : دعيـــه ! خليـــه ! فـــإني عـــارفٌ بمحنتـــه
ســـينجلي عنـــه الـــذي أصابـــه مـــن ســـكرته

همام : (باقيًا في ذهوله غير منتبه لما بين يديه مستطردًا في حديثه)
يـــا حســـنُ ! لا تعـــاقبي عبـــدك في جريمتـــه
فقـــد أتـــاك تائبًـــا مـــن ذنبـــه وهفوتـــه
مـــا كـــان إلا عـــابدًا حُســـنك في قداســـته
يشـــهَده في كـــل وجـــهٍ زاخـــر بفتنتـــه
في طَلعـــة البـــدر ، وفي الظـــبي وحُسْـــن لفتتـــه
وفي زهـــور الـــروض في ربيعـــه ونضرتـــه
وفي وجـــوه الغيـــد شـــيءٌ مـــن ضيـــاء غُرَّتـــه
يختلـــف المحـــراب والـــربُّ بوحدانيتـــه

(يـدار بعـامر ويغشـى عليـه . ترتـاع أخواتـه وتـأخذن في تنبيهه برش الماء عليه)

ناهية : عامـــر!

عامر : هـــا !

سعدى : عامــــر !

عامر : هـــا !

لبنى : عامـــــــر !

ناهية : قـــم يا عامـــر !

همـــــام

همام : (**مفيقًا من ذهوله**)

مـــا لعـــامر ؟ هـــل نــــ ــــام ؟

ناهية : (**لنفسها**) يهـــذي الآخـــر !

(**ثـم لهمـام**) أمـا تـــراه ســـاقطًا مغمـــى عليـــه يـــا همــــام ؟

روعتمـــــــــا قلوبنـــــــــا الليلـــة في هــــذا الظـــلام ؟

همام : لا تخـــافي ســوءًا علـــى عـــامر إنـــي لأدرى بمـــا يعانيـــه عـــامر

أسمِعيـــه اســـم زوجـــه يصـــــ ـــحُ من إغمائـــه

ناهية إنهـا لـزوج غـــادر !

همام : إن تكـــن غـــادرًا فـــإن هواهـــا لجَّ في نفس عـــامر والشراشـــر !

ناهية : إنـه قـد ســلا هواهـــا ؛ أيهـــوا ها وقد آثرت عليه ابـن جـابر ؟

همام : صدّقينـــى بأنـــه مـــا ســـلاها إنـــي عـــارف لــــه ومخـــامر

ناهية : غصـــنُ ! يا غصـــنُ !

عامر : (يمسح جبينه)

أيـــن غصـــنٌ أجـــاءت ؟ مرحبًا مرحبًـا بـأكرم زائـر !!

راجعيـــي يـــا منيـــة القلـــب بـا لله فـإني لمـا جنيـتِ لغـافر !

(بصوت منخفض)

أو فخافي من عامر فسيرديـ ـلك - على رغم أنفه - وابن كاسر

(يجلس فلا يرى إلا همامًا وأخواته)

أين غصنٌ أيممت جهة المخدع؟

ناهية : يـا عـامر انتبـه يـا عـامر !!

لم تجئنا غصن ودع عنك غصنًا إنَّ في حيِّنـا مئـات الحرائـر !

همام : (لعامر)

عـامر قـم بنـا نصـلّ فرضنـا

(يلتفت للنسوة)

وقمـنَ أنـتنّ فهيئـن الوضـوء

وقمـن صلـين جميعًـا خلفنـا

ناهية : ويحك هل على النساء مفترض ؟

لا نعرف الصلاة هـل تريدنـا مثل الرجال للصلاة ننهض ؟

حسب الفتـاة عندنـا اسـتقامةً بـأن تصـوم الشـهر إذ ترمـض

عامر : حتى الرجـال بعضهـم يصلـي والأكـثر الأكـثر مـن تخلّـى !

وكنت فيمـا مـرّ مـن أيـامي أخشى من الخمس على أنعامي

فإن غضبت مـرة على جمـل رميتـه بركعتيـن فاحتمـلْ !

حتى علمتُ بعد ذاك أنه وهمٌ فأقسمت لأتركنه
ومنذ ذاك ما تركت الخمسا وما رزئت بَكرةً أو عنسا

همام : رباه هل تبلغ دعوة النبي إلى ربي الصين وأقصى المغرب
وتخطئ الدعوة أرض العرب ؟؟

عامر : همام ليس الذنب للأعراب الذنب ذنب قارئي الكتاب
من ساكني الحضر ذوي الألباب إذ لم يشوا دعوة الوهاب
في البدو أهل الجهل والغلاب وعطّلوا بأوهن الأسباب
وصية النبي والأصحاب

همام : (في أسف وحزن)
شغلتهم قبابهم والقبورُ أن يقوموا بدعوة أو يسيروا
حسبوها في نسكهم كل شيء فعلام الإدلاج والتهجير ؟
كل (شيخ) و(سيد) عنده قبر إليه التيسير والتعسير !
وإليه اللجا وفيه المرجّى وعليه التكلان وهو المجيرُ
كاشفَ الضرّ إن أُصيبوا بسوءٍ فإليه ابتهالهم والحضور
وإذا ما ابتغَوْا قضاء مرام فإليه قربانهم والنذور
كيف ترجى هداية البدو منهم وهمُ عن سنا الهداية عور ؟
إن حسب البداة أن يستظلوا في حمى دَجلهم وأن يستجيروا
ويكونوا على هواهم نزولا بيديهم شئونهم والأمور
حسب ذلك الخضوع لِيُضحُوا سُعداءً وذنبهم مغفور

آه لو هُـذّبَ البـداةُ لأمسـوا   وبهـم للأنـام خـير كثـير
ولكفوا عن قتل بعضهم البعض   وقَطـع السـبيل وهـو كبـير
ولساد الأمانُ وانبسط الخير   وزال الشـقا وعـم السـرور

* * *

المشهـد الخامـس

(تشرق الشمس ويقوم عامر يشد جمله وهمام يشد حماره يتهيآن للسفر)

همام : (راكبًا على حماره وعامر يحث جمله)

عامر ما كان حديث البارحة ؟   سوء ختام بعد حسن فاتحة

عامر : أنت الذي شَببتَ بالتذكار   نارًا بقلبي يا لها من نار !

همام : كيف انطرحت ساقطًا مغمى عليك ؟!

عامر : كيف هذيت والنسا بين يديك

همام : لا . ما هذيت ...

عامر : وأنا لم أنطرح   وإنما قلت لجسميَ استرح !!
أوّاه ! لو لم تكن اليوم معي   لكان لي شأن مع الخِب الدعي !

همام : يا عامر اتّئدْ وخلِ الطيشا فقتلك النفس يُمرُّ العيشا
دعها وما اختارت وخذ سواها فأبلغ النفس بها مناها

عامر : همام هبها لك هل تقوى على أن تلزم الصبر على هذا البلا ؟
لا والنبيِّ المصطفى المختار !

همام : ويحك ! لا تحلف بغير الباري
فإنه نوع من الإشراك بخالق الأكوان والأفلاك
وقد نهانا عنه سيد البشر أليس في قول الرسول مزدجر ؟

عامر : أقسمت با لله ورب البيت ورازق الحي ومحيي الميت
لأسقينَّ النغْلَ موتًا أحمرا وأروين من دمائه الثرى
وأفتكنَّ بعده بالفاجره أقذِفها قبلي لدار الآخره !

همام : يا عجبًا تقتلها وترتقب بعد لقاءها بدار المنقلب ؟

عامر : إني أحبها ، ولولا حبها لكان مني الطلاق حسبها
تأبى عليَّ غيرتي عليها تركي سوايَ آويا إليها
يرغم أنفي أن أسومها الردى وبعدها سوف أموت كمدًا !

همام : ألا تخاف غضب الرحمن في قتلك الأنفس بالطغيان ؟

عامر : من ذا يخاف الله بعد اليوما ؟ قد ذهب الناس فخل اللوما
أنت تقول الحلف بالنبي محرّم في شرعه السوي
فانظر إلى الأنام هل تورعوا عنه بنهي المصطفى وامتنعوا ؟
أما تراهم يلهجون بالقسم جهلاً بكل رمة من الرمم ؟
يرون إيلاءً بعبد الله أعظم من إيلائهم بالله

همام : ما أنت والناس ، عليك نفسك فليس من يدخل منهم رمسك
أعزز علي أن أراك عاقلا منور الفكر وتغدو قاتلا

عامر : همام إني شاكر ودادك ونصحك الممحوض واجتهادك
فإن أطقت الكف عن ضلالي فالفضل للنصح النفيس الغالي
وإن تغلّب الشقا عليه فلست إلا من بني غزّيّه !

* * *

الفصـــــل الرابـــع

المشهـــــد الأول

« همام ــ خارج باب مدينة الشحر ساحل حضرموت عائدًا إلى سيوون ــ بعد أن قضى عـامين ببلاد جاوا ـــ راكبًا على حماره ومعه دليلـه النجاب حـاملاً فوق ظهـره رزمـة من الكتب في غلاف من الشمع المتين » .

همام : أســرع الســير يــا دليــلْ ! أســرع الســير يــا دليــلْ !
إن بـــي ظمـــأةً لمـــا ءِ بســـيوون سلســـبيل
بُــلَّ مــني صــدى الجــوى واشــف مــن جــوفي الغليــل
ليت شعري ــ وكـادت النفـــ ـــس مــن يأســها تســيل
ومضـــت أربــعٌ طـــوالٌ ـــ وعمــرُ النــوى طويــل ـــ
في انتظـــاري ـــ والانتظـــا ر لأهـــل الهـــوى قتـــول
أتــرى الوصـــل لي متـــا ح أم الوصـــل مســـتحيل ؟!
أئـــذا مـــا دنــوتُ ميـــلا تبـــاعدْتُ ألـــف ميـــل ؟!
قسمًا بـالحبيب ! ـــ أستغـــ ـــفر اللّـــه ! ـــ بـالجليل
لا أرى الوصـــلَ ممكنًـــا أو أرى وجـــه الجميـــل
وأراه بعـــــين رأســـــي بـــلا حـــائل يحـــول !
وأحـــــسّ اليمـــــين في فرعـــه مـــرة تجـــول !

ضاق صدري ، وعيل صبـــ ـــري وضلتْ بي السبل !!
وتناهى بيَ الجوى وبرى جسميَ النحول
وتداعت أضالعي من نشيج ومن عويل
واستحالت قريحتي من ذكاء إلى ذهول
أتهادى كشاربٍ أوْهنَتْ ساقَه الشَّمول !
جاحمٌ في جوانحي يتلظى بلا فتيل
كلما قلتُ : ذاب قلبي وغالتْه منه غول
رجّ صدري خفوقُه فتوقعْتُ أن يميل !!
فحنانيك لا تَلم ! أو فلُمْ أيها العذول
ليت شعري هل لي إلى ما تمنّيتُه وصول ؟
فأمانيّ أوشكتْ أن تموت من الذُّبول
أبحَقلي وحدي أنا الجدب والخصب في الحقول ؟!
أسرع السير يا دليل أسرع السير يا دليل !

النجاب : يا أخا الحضر هل ترى رجلاً سيره ثقيل ؟
لست أحتاج أن تقول : أسرع السير يا دليل
لي من النفس سائقٌ ينهب الحزْنَ والسهول
أختشي أن يفوتني « نصر » نجّابُ (باعقيل)
(يصمت قليلا ثم يقول)
أين نصرٌ مني ؟ وأين من المضمر الهزيل ؟
أنا سَيْري منظم لا بطيء ولا عَجول
وهو يشتدُّ في الذّميـــ ـــل فيعتاقه الذميل

أنـــا غـــول القفـــار وابـــــ ـــــنُ الديـــاميم والمجـــول
لا أبـــــالي إذا مشـــــيْتُ أذى الشـــمس والوحـــول
همام : مـــا لتجارنـــا عبـــاديد شـــتى يتبـــارَوْن بغضـــة وحقـــودا
كـــثروا عـــدة وقلّـــوا غَنـــاءً وأضـــاعوا بالافـــتراق الجهـــودا
وغـــدَوْا كـــلٌّ واحـــد بـــبريد مـــا لهـــم لا يوحـــدون الـــبريدا ؟
فيطيقـــوا إرســـاله كـــل أســـبو ع ويجـــروا بـــه نظامًـــا ســـديدا
إن في طوفهـــم لـــو اتفقـــوا أن ينشئوا السفْن في البحار عديـــدا
وبها يستغنون عن سُفن لأجــ ــنب يصليهم العذاب الشـــديدا
ولقد كان للحضارم في البحـــ ـــر سفين أيـــام كـــانوا أســـودا
جاريات من الخليـــج لبحـــر الـــ ـــهند حتى (أندونيسيا) لتعودا
داؤنـــا أننـــا نخيـــب جماعـــات وقـــد نـــدرك النجـــاح فـــرودا
أسرع السـير يـا دليـل ! أسرع السير يا دليـل !
واصـل السـير لا مبيـت ـ إذا شئت ـ أو مقيـل
النجاب (**متهكمًا**) :
أسـرع السـير يـا دليـل أســرع الســير يا دليل
هــل ترانـــي طيـــارةً هــل تراني أُوتومبيل ؟؟
(يشير بيده إلى طريق السيارات التي بدئ بإصلاحها بحضرموت بين الساحل والداخل حيث يرى العمال يشتغلون بتعبيدها)
دونـــك انظـــر طريقـــه ! فتُنهَـــى عمـــا قليـــل
همام : ليتـــه قـــد مشـــى فـــأو صـلني الليلـــة (السحـــيل)[1]

---

(١) الجانب الغربي من سيوون .

النجاب : لا رعـــى الله عهـــده إنـــه عهـــد عزرئيـــل
لا تقـــدره يـــا إلـــهي وعسّـــر لـــه السـبيل !
وإذا تمّ فابْلِـــــه بـــأذى البـــدو والقبيـــل !
وإذا مـــا مشـــى فـــلا فـــارق الوحـــل والسيول !
همام : قـــل لي لأيـــة علـــة أبغضت خلْقًا مـــن حديـد ؟
مـــاذا جنـــاه عليـــك حتـــى خلتـه الخصـم العنيـد ؟
النجاب : هـو قـاطع رزقـي القليـــل غـــدًا وأرزاق العديـــد
مـن كـل جمَّـــال وحمّـــار زمـــاش بالـــبريد
أتريدنـــي كـــالحضر إذ خـــالوه مفتـاح السـعود ؟
وبشـير آمـــال النهـــوض وفجـر أيـــام الصعـــود
تعِسوا وخـاب رجـاؤهم وتعـثرت بهـم الجـدود !!
همام : (لنفسه)
فهِمَ الفتـى البـدويُّ مـا لم يفهـم النـدْس الرشـيد
(ثم للنجاب)
حُيِّيتَ مـن فطِـن فـدا ؤك كـل ذي ذهـن بليـد
مـا قلتَـه كـاف لِيُمْـــقَت مـا يضـر ولا يُفيـد
ووراء ذاك سـوام أبـرصَ تنفـث السـم المبيـد
شُلٌّ الممـالك والشـعو ب وهيضـة العصـر الجديـد
مـن كـل لـص قـاتل للمـال والخلـق الحميـد
لكـن ظلـم النـاس بعـضهم لبعضهـم عتيـد !
ليعيـش فـرد واحـد لا بـأس مـن شعب يبيـد!!
ولسـوف يجنون النـدا مـة منـه والأسف الشديـد !

المشهـــد الثانـــي

« منبسـط مـن الأرض فسيح يـرى في آخـره مـــن جـانب الوادي مدينة « سيوون » على بعد بحيث لا يتبين النـاظر إليهـا إلا بياض منائرها وأبنيتها العالية محفوفة بهالة عظيمة من خضرة النخيل المحيطة بها من نواحيها » .

همام : أهـــذه ســـيوون أم جنـة عـدنٍ أزلفـت للمتّقـين
للّـــه مـا أجملهـا مَنظرهـا الزاهـي يسـر النـاظرين
تحسـبها ـ مـن بُعْـدٍ ـ حديقةً خضراءَ تسقى من معين
قـد نـثرت في تُربهـا جنـابذَ اللؤلـؤ والـدرُّ الثمـين !
تفـوح في أرجائهـا روائـح الـورد وَعـرف اليـاسمين
يحنـو عليهـا جبَـلٌ كما تضمُّ طفلها الأمُّ الحنـون !
تضـرب في أجوائهـا منـائرٌ تخفـى مـرارًا وتبـين
كأنهـا أعمـدةٌ قامت عليهن السماوات المئـون
تجعلهـا الرِّيـاح في تَلعابهـا أهدافهـا إذ ينـبرين
أو كقـرون حـامل الـ أرض على قرنيهِ فيمـا يزعمـون
أثقلـه آثامهـا فمرَقتْ من جوفها تلك القرون
قِبابهـا زاهيـةٌ لو لم يكن حرمها أسمـح ديـن

هدّم بعضها (بنو الـ ـتوحيد) فيما قد خلا من السنين
فهي ترى كأنها بيض نعام أجفلت من صائدين
ريعت فداست بعضه فهو على الأرض فليقٌ وطحين

* * *

لئن يكن منظرها وحسنها الزاهي متاعَ المبصرين
فإن في مَخْبرها خير متاع لقلوب النازلين
تفرّدَت حِسانها بالظرف واللين إلى خُلق متين
ورقةٍ كأنّها نسيب (عباس) أرقته اللحون
كأنّما أنت إذا جُزتَ بها تخطر ما بين الغصون
إياك من لحاظها إياك أن تصرع من سحر الجفون

يتنهد

كأن (حسنًا) أفرغت على رباها من جمالها المُبين
نضارَة كخدّها تَعُبُّ حتى ترتوى فيها العيون
ورقّة في جوِّها كما تندى خَجلاً منها الجبين
في مائها حلاوةٌ من ريق حسن ما خمور الأندرين؟
وفي محيّا شمسها ملاحةٌ من ذلك الوجه الحسين
وفي قدود نخلها من قد حُسْنٍ هيفٌ به تزين
صباحها الفضة قد سالت على زمرُّدٍ من الغصون
وذهبٌ أصيلها يبتعث الأنس ويهتاج الشجون
من نحرها وثغرها ووجنتيها سرقا تلك الفتون
وليلها مُعَنْبر كفرعها في عَرْفه وفي الدُّجون

مدينـــــة شـــــبيهها في حضرموت وسواها لا يكـون

(يتـــأوه)

لـــولا توانـــى أهلهـــا لقلـت هـذه جـزاء العـاملين

ليـس لديهـم عمـــل إلا قضاء الوقت في لهـوٍ مشين

يشـــقون في غربتهـــم بالجمع للمال وهـم مقتصـدون

حتـى إذا مـــا وصلـــوا إلى بلادهـم إذا هـم يسـرفون

كـــأنهم قيـــاصرٌ يُبَـدِّدون المـال لا يكـترثون

ولا يفكّـــــرون في خدمتهـا بـالنزر ممـا يجمعـون

ولا يزالــــون في غربتهـم صناعـة أو يحْذِقـون

لينفعـــوا أوطـــانهم بهـا إذا عـادوا إليهـا راجعـين

* * *

المشهـد الثالـث

(همـام في مكتبـه وعنـده صديقـه محمـد يـزوره زيـارة خصوصية بمناسبة قرب زواج همام)

همام : محمـــدُ

محمد : لبيـــك !

همام : مـــاذا ورا ءك مـــن خـــبرٍ ؟

محمد : ليس عنـدي خـبرْ

سوى أن قلبيَ مستبشر بنيل المنى وبلوغ الوطرْ
وأنك سوف ترى من تُحِب قريبًا وينزاح عنك الكدر

همام : أخي أنا في مِرْية بعد في لقاء حبيب فؤادي الأغر
فقد درجت في انتظاري السنو ن وما بُلَّ من ظمأي المستعر
إذا وعدوني جُمادَى اللقا ء تلاشت جُماداهُم في صفر

محمد : همامُ زمان المطال انقضى وهذا أوانُ الوصال ابتدر
أتغري بقلبك بَرْح الشكو ك والوصلُ بعد غدٍ منتظر ؟
وهذي بيوتك قد زُيِّنت وأهلوك في نَشَوات الحَبَر
وأكدتُ أمس على المطربيـ ـن - على رغم أنف الذي قد خطر -
بأن يحضُرونا مساء الزفاف وصبحَ الدخول وليل السمر

همام : سلمت وهل رضي المطربو ن بذاك ؟
محمد : رضوا بعد طول النظر
خشُوا المانعين لهم أولا فداويت بالمال ذاك الحذر
ومَنْعُهم الناس أن يطربوا كما يطربون . دليل البطر
وليس بذاك لهم حجة سوى كبريائهمُ والأشر
همام : محمد ! لا أبتغي المطربين على أنني لك ممن شكر
لئلا يقال : لحظٍّ هوا ه دعا للمساواة بين البشر
وإن سروريَ بالوصل لا بمن نَقَر الدّف أو من زمر
ولكن سيزدان بالمطربين زواجك ! هلاَّ به تفتكر !!

صديقي إلى مَ تحامَ الغرام ؟ إلى مَ فؤادك مثل الحجر ؟
إلى مَ أراك وحيد الظلام وحيد المقبل ، وحيد البُكر ؟

محمد : همام رويدك !

« يبتدره البكاء فيعوقه عن إتمام كلمته » .

همام : (لنفسه) ويلاه ما لصديقيَ أدمعه تبتدر ..؟
أشق عليه كلامي ؟
(ثم لمحمد) محمد زلّت لساني ألا تغتفر ؟

محمد : (لنفسه)
إلهي أبحتُ بسر الهوى وكنت على كتمه أصطبر ؟

ثم لهمام : صديقي أتحسب أنك سؤ تَ فؤادي ودأبك لي أن تسر
أمثلك يجرحني قوله ؟ فتلك لعمري إحدى الكبر
ويا ابن الأكارم ماذا جنيتَ حتى تَنصلَ أو تعتذر ؟
همام كتمتك جُهدي الهوى ولكن أبى الحب أن يستتر
همام أتعهد مني البكاء همام أتعرف فيَّ الخور ؟!
وكنت ألومك فيما مضى فيا ليتني كنت فيمن عذر !
وأعجب كيف تصول الظباء على الأسد؟ حتى رماني القدر!

همام : محمد ! لا تحبسنَّ الدموع ودعها على رسلها تنهمر !
فإن القلوب إذا أجدبتْ بحزنٍ فإن الدموعَ المطرْ !
وقل لصديقك أيُّ الظباء رماك وصرّح له بالخبر
فما في الصبابة عار على فتًى طاهر الذيل عفِّ الأزُر

محمد : (يكفكف من دموعه)

همـــام أتذكــر « علويــة » نصيرتنــا في الجهـــاد العسِــرْ ؟
سليلة طــه ، فتــاة الحجــى ، مِثــالَ الكمــال مثــال الطهُــر
أتتنــى يومًــا علــى حالـــةٍ تُذيب القلوب وتجري العَــبَر
محمــد ! هـــذا أوانُ الغيــاث وهـــذا أوانُ تـــلافي الخطَــر
مضــتْ ليلتــان ومــا عندنــا مــن القــوت شيءٌ بــه نعتصــر
وأخــتي غارقـــةٌ في السَّـــقا م وإنــي لأحســـبها تُحتضــر
وزوجـــةُ عمـــيَ في طَلْقهـــا تعــاني المتــاعب والوقــت قُــر
وعمــيَ ســـافر منـــذ شـــهو رِ فـلا عــاش مضطــرُّه للســفر
وكـــان لدينـــا بحانوتـــهِ يعيــشُ ويتجــر فيمـــن تجَــر
فشنّع إخوانــه بــل عِــداه ـــ عليــه ، وقــالوا : لئيــم قــذِر
يُدنَـــس أحســـابنا إذ يـــرو ح إلى السوق كالناس أو يبتكــر!
فما أنهــتِ القــولَ حتىٰ غدو تْ ويوشِــك قلــبيَ أن ينفطــر
وأذهلهــا الحــزنُ عــن موقفــي فلـــم تتحفـــظْ ولم تســـتتر
فأبصرتهــا مــن خــلال الحجــا ب كما لاح بين السحاب القمر!
رأيت الجمال ، رأيــت الجــلال رأيت الهوى والشباب النضــر!
وراحـــت تنـــثُّ علـــيَّ الثنـــآ ءَ بما قــد قضيتُ لهــا مــن وطر
وقــد تركتــني ســليبَ الفـــؤا د قليل القــرار ، كثــير الفِكَــر
أردّد أقوالهـــا في الضمـــير تــرنُّ بــأذني كصــوت الوتَــر !
فهـــأنذا بعدهـــا يـــا همـــامُ قصــير الرقــاد طويــل الســهر
رحمــتُ فأسعفتُ ثــم انثنيــتُ وفي كبــدي مثــلُ وخــز الإبــر !
فلطفــك يا رب فيما قضيت فلم يُنْج مما قضــيتَ الحـــذر !

همام : يا صديقي عندي إليك عتاب   واطراح العتاب مني قبيح
أكذا تكتم الحوادثَ عنيْ   وبما دونها إليك أبوح ؟!

محمد : يا خليلي إن كان ساءك فعلي   فاعفُ عني فأنت عني صفوح
إن عِبءِ الهوى عليّ ثقيلٌ   وببثّيكَ سرَّه أستريح
غير أني كتمتهُ عنك جهدي   حذرًا أن ينالك التبريح
ولو أني نظرتُ فيك لحظي   يا خليلي للذَّ لي التصريح

همام : خف عن ظهرك العناء لظهري   فاسلُ عنه فإنه مطروح
إن ما أنت آملٌ سوف أغدو   ساعيًا في تحقيقه وأروح
فدع الهم إنها سوف ترضا   ك وحسب المليح زوج مليح

محمد : (لنفسه)
هو يدري بأن ما أتوخا   ه مُحال من الأمور طروح[1]
فهو يبغي بذاك تخفيف حزني   إنني بالأسى إذًا لذبيح

* * *

---

(١) بعيد .

المشهد الرابع

(ساحة كبيرة أمام بيت العروس « حسن » فيما بعد منتصف الليل . يرى هناك جمهور من النساء يصطففن لزفها إلى بيت « همام » تتوسطهن « حسن » عليها غطاء لا ترى منه . تحيط بهن الوصائف بأيديهن الشموع تتقدمهن القينات المغنيات بأيديهن الدفوف وهن يتغنين بينما الجمهور يتحرك ويتجه ـ في سير بطيء ـ إلى جهة بيت همام).

القينات : نحن نزُف الشمسا والشمسُ في ضُحاها
فما أجلَّ عُرسا يغمره سناها !

الجمهور : نحن نزُف الشمسا والشمسُ في ضُحاها
فما أجلَّ عُرسا يغمره سناها

القينات : نحن نزف الحيا نحن نزف المُنى
نحن نزف الضّيا نحن نزف السنا

الجمهور : نحن نزف الشمسا ... ...
... ...

القينات : يا عُصبةَ الغواني هَلم للتطريب !
اشدون بالأغاني واهتِفْن بالنسيب
واضمُدْنَ بالأماني دوامِيَ القُلوب

الجمهور : نحن نـزف الشمسـا ... ...
... ...
القينات : حيّيـن بالسـلام هذا الشعاع المسكوب !
وافثـأن بالأنغـام كـل حزيـن منكـوب
الجمهور : نحن نـزف الشمسـا ... ...
... ...
القينات : روائـح الجنـان تعبق مـن هـذي الـدُّور
كأنمـا المغـاني أمسَتْ مراقص الحـور!
نحـن نـزف الشمسـا ... ...
... ...
القينات : نحـن نـزف الملَـكْ في صـورة الإنسـانْ
يجلـو ظـلامَ الحلَـكْ ويقشـع الأحـزانْ
فهـل لديكـم فلَـكْ بنـوره يـزدان !؟
الجمهور : نحـن نـزف الشمسـا ... ...
... ...
القينات : يـا قمـر السـماءِ غُـضِ الجفـونَ أغـضِ
بـالذكر والأسمـاءِ عـوذتُ بـدر الأرضِ
الجمهور : نحن نـزف الشمسـا ... ...
... ...

(يقتربون من بيت همام)

القينات : سُـقْنَ إلى همـام جمـالَ هـذا النـادي
واحـدونَ للضرغـام لبـاةَ هـذا الـوادي

الجمهور : نحن نزف الشمسا ... ...

... ...

في الطابق العلوي من دار همام حيث تستقبل نسوة الدار النسوة اللاتي زففن « حسنًا » . تنحاز نسوة الدار إلى جهة ، ونسوة الزفاف إلى جهة أخرى والقينات في الوسط يضربن بالدفوف .

القينات : اليُمْـن والإقبـال والسعد والسعادهْ

للمُعْرِسين فـال والفضل والزيادهْ

شاعرة نسوة الزفاف : نحن نزف الحُسنا نحن نزف بلقَيس !

ثم سائرهن : نحن نزف لُبنى فهل لديكم من قيس ؟

شاعرة نسوة الدار مجيبة : همامنا كالمأمون إن زففتم بوران

ثم سائرهن وهكذا في باقي الأبيات إلى آخرها

وإن تكُن بلقيسًا فإنه سليمان !!

نسوة الزفاف : النصر للعروسة !

نسوة الدار : بل هو للعروسِ !

نسوة الزفاف : للدرَّة النفيسهْ

نسوة الدار : للجوهر النفيس !

نسوة الزفاف للحُرّةِ المصونة وربة الجمال

للدرَّة المكنونة واسطة اللآلي !

نسوة الدار : لمفْخَر المدينهْ لسيد الرجالِ

نسوة الزفاف : الناس يعرفونه بكرَم الخِلال

نسوة الزفاف : النور والشعاعُ ووَهج الشموسِ

والجوهـــر اللمَّـــاع   وحبَــب الكـــؤوس
جميعهـــا أشـــياع   لهـــذه العـــروس

نسوة الدار : ألمجـــد والكمـــالُ   وكـــرم الأخـــلاقِ
والقـــولُ والفعـــالُ   وحسَـــبُ الأعـــراقِ
جميعهـــــــن آلُ   عروســنا الغيـــداق !

نسوة الزفاف : نحـــن نـــزف الحسـنا   نحـن نـــزف بلقيـسْ
نحـــن نـــزف لُبنـــى   فهل لديكم من قيس ؟

نسوة الدار : همامنـــا كالمـــأمون   إن زفقتـــم بـــورانْ
وإن تكـــن بلقيسًـــا   فإنـــه ســـليمان

القينات : كـلا العروسـين زيْـنْ   للمجـد والعـــلاء
فـلا تفـاضلن بيْـنْ   ســراجي الســـماء
أيـــن المجـــرةُ أيـــنْ   كواكـــب الجـــوزاء
أصوغهـــنّ لذيـــنْ   تـــاجَين بالســـواء

القينات ثم الجميع : يـــا رب باركهمـــا   في ذا الـزواج السـعيد
واجعـــل زمانهمـــا   كأنـــه يـــوم عيـــد
وانفحهمـــا بـــالوُلْد   مثـل دراري النجـــوم
في ظـل عيـش رَغـدْ   وفي صفـــاءٍ يـــدوم

(ستـــار)

الفصـــــل الخامـــس

المشهـــــد الأول

علويـــة : (على فراش المرض . حسن تعودها في بيتها) .

علوية : عُدتِني حُسن؟ مرحبًا بـك يـا أخـ ـــتُ !

حسن : وقاكِ الإلـــٰـه مـا تحذرينـا !

ما الذي تشتكين ؟ نفســي فـداءٌ لـك مـن كـل علـة تشـــتكينا !

علوية : أقصري حُسنُ أن تمنّيْ على ربـكِ ســـوءًا لعلـــه أن يكونـــا

بل سلى الله لي الشفاء عسى أن يقبـلَ الله منـكِ مــا تســألينا

أو ســليه ليَ العـــزاء فــــإني لا أرى الــداء تـاركي أو أبينـا

حسنُ ! إني أُحِسّ في الصدر نـارًا تتلظّـــى كـأنّ فيــه أتونـــا !

أشرب الكأس بعد أخرى من الما ء فـلا أرتـوي كمـا ترتوينـا

أحسِب المـاء يسـتحيل بجـوفي لهبًـا في الحشـى يئـن أنينـا

أنـــا لا أسـتطيع أن أدّع المـــا ء ، ولا المـاء قـادر أن يُعينـا !

حسن : لا تخافي سوءًا فمثلَكِ في العفّـ ـــة والنبـل مـا نمـى الوالدونـا

تبذلـين المعـروف جهـدك للنـا س ، وتولـين منهـم المسـكينا

وتراعـــين للجـــوار حقوقًـــا وتواســـين بائسًـــا وحزينـــا

وتوالـين مـن يحـامي عـن الحـق وإن غـــاظ فعلـك الأهلينـــا

فإله الـورى سـيرعاكِ ، لن يتـ ـــرك يومًا عبـــاده المحســـنينا

علوية : قدْكِ ؛ هذا جميلُ ظنك في أخـــ ـــتكِ ، لا خيّب الإلـه الظنونـا
إن ربـــي بخَلقـــه للطيـــفٌ يتـــولى عبـــاده الصالحينـــا
غـير أن العبـاد بعضهـم يظـــ ـــلم بعضًـا ، عـن ربهـم ساهونا
أنظريني هل بي سوى ظلم أهلي لي وأبنـــاء عمـــي الأقربينـــا ؟
وتصدّيهـم لمــا ليـس يعنيـــ ـــهم ، وعن واجباتهم يعرضونـا
مات زوجـي ووالـدي فلـم يُبـق لي الدهـــر عـــائلاً أو خدينـــا
غيرَ عمي ـ وأنت تدرينَ ما عمـ ـــي ؟ فقـيرٌ ينـاهز الســتينا
قد وهَى جسمُه ، وخارت قـواه وابتـلاه السـقام حينًـا فحينـا
ألجــأوه إلى السُّــفار ليجلــو عنهـمُ العـارَ ، هكـذا يزعمونـا
زعمـــوا أن بيعــــه وشــراه يكسوان الأشراف في القطر هونـا
ثم إنـي مكثتُ في عصمـة الأيْـ ـــم وفي رِقْبـة الـزواج سـنينا
لم يجئـني منهـم ليخطُـب وِدّي أحــد غــير فتيــة عاجزينـا
وأبــي عــالم وجـديَ حِـبرٌ وأصـــولي أئمـــة متقونــــ
ولعـــل المــرآة تصــدق عـــني إن وجهي ما كان في الحسن دو

حسن : بـل تعـالى الـذي بـراكِ ، وحــلاً لكِ جمــالاً يحــيِّر الناظرينــا !
ســطعت أنــوار النبــوّة فيـــه فاستحالت مباهجًـا وفتونـا !

علوية : وأتـاني محمـد وهــو مــن بيــتٍ حسـيب أصـلاً كمـا تعلمينـا
رجــل يمــلأ الصـدور كمـــالاً وخـلالاً كمـا يسـر العيونـا !
كـان لي كلمــا تضـايق حــالي سـاعدًا قبــل خطبــتي ومعينــا
وهو كفئي وكـفء أفضـل مـني حســبًا أو فضيلــة أو دينـــا
فـأتوْا يزجرونـــي عنـــه حينـــا ويســـومونني التهـــدُّدَ حينـــا
مـــا رأوْا لي من قبـل ذلك دارًا فأتـــوْا بعــد ذاك يستبقونـــا

ما ثناهم عن خطبتي غير فقري   ليس عندي ملمال ما ينشدونا
ذهبوا لابنة الغني وإن لم   يك من بيتهم وإن كان دونا
وانبروْا يمنعوننا من سواهم   فلمن ويْحَنا إذًا يتركونا ؟
فدعيني يا حسن أبكي مصابي !   بِمَ أبكي وقد أرقتُ الشئونا ؟
رب ! كن لي وللتعيسات مثلي   ليس بين الأنام من ينصفونا

(لا تتمالك حسن عن البكاء فتنهمر الدموع من عينيها)

علوية : مِمّ تبكين حَسنُ ؟
حسن : من أجل بلوا   كِ فؤادي أحسبه مطعونا !
تب ذا العيش! لا هوى ليَ في العيـ   ـش إذا لم تحظَيْ بمن تعشقينا
علوية : أقصري حسن! بل يظل همام   بك في غبطة بها تسعدينا
حسن : نحن نحيي وأنتما ؟
علوية : فوقنا اللّـ   ـه سيأسو جراحنا ويلينا
فوقنا اللّه ..
حسن : فوقنا أيضًا اللـ   ـه سيأسو جراحنا ويلينا

* * *

المشهـــــد الثالـــي

(حسن في غرفتها . همام داخل إليها) .

حسن	: حبيبـــي ؟	
همام	: أجـــل مُنيـــتي !	
حسن	:	أمـــا لـــكَ في قبلـــة ؟
	تعـــال إلى جـــانبي	أمـــا لـــكَ في ضمـــةٍ !
همام	: **(يهوى إليها)**	
	بلـــى يـــا حيـــاةَ الفـــؤا	د ، ولبيـــكِ يـــا مهجـــتي !
	هبيـــني لمـــاكِ هبيـــنيَ	أطفـــئ بـــه غلـــتي !
	هلمـــي نطُـــف بالحيـــا	ة كـــالنحل بـــالزهرة !
	فمـــا في المنـــى مثـــل قبـــ	ــلة الـــزوج للزوجـــة !
	نتـــال بهـــا نعمـــة	وحســـبكِ مـــن نعمـــةٍ
	ونجـــني بهـــا لـــذّة	ونـــاهيكِ مـــن لـــذّةٍ
	وهـــل كنعيـــم يجـــيء	مـــن الله بالرحمـــة ؟!
حسن	: حبيـبي ! أمـــا لـــك عـــن	هـــوى الشـعْر مـــن توبـــة ؟!
	أبـــي أنـــا وحـــدي نسيـــ	ـــبُكَ أم بـــي وبالنســـوة ؟
	أرى نَـــبَرات العُمـــو	م تعصِـــف بـــالوحدة
همام	حبيبـــة قلـــبي ! أقِلّـــي	علـــيَّ مـــن الغـــيرةِ
	هلـــمَّ ادخلـــي للفـــؤاد	وافضِـــي إلى الحبّـــة !
	فهـــل تجديـــنَ بهـــا	لغـــيركِ مـــن عُلْقـــة ؟

حسن : كذا فلتكن ليَ في … حياتي وفي موتتي

فما في حياتي خشيتُ … بل بعدها خشيتي !

حبيبي اغتنم ساعة … من الصفو والبهجة !

فقد لا تطول حيا … تي ، وتقصر بي مدّتي !

همام : دعيْ عنكِ هذا ، وقو … لي سوى هذه الجُملةِ

بربكِ لا تذكري … لنا شبح الفُرقة !

فلم نسترح بعد من … متاعبها الجمّة

ولم نقْضِ بعض اللُّبا … نةِ من هذه اللُّقيَةِ

حبيبيَ لا تَلْحِيني … واشفِق على عَبرتي !

حسن : (تبكي) أحسُّ كأن الحِما … مَ منّي على خُطوة !

ويهمس لي خاطري … بأني على رحلة !

همام : دعي عنكِ هذي الوسا … وسَ ، جسمُكِ في صحة

ووجهكِ هذا الجميـ … ـل ينبُع بالنّضرة

وسوف تجوزين عُمـ … ـرَ جدّكِ والجدّة

حسن : سَلِمْتَ حبيبيَ لي !

همام : … ولي أنتِ يا بُنيّتي !

حسن : لقد زال عنّي الذي … شعرت من الخيفة

وذابتْ همومي مِنْـ … ـك في كوثر الجنّة

همام : فديتُك ! حُسْنٌ ستبقى … ببيتيَ كالشمعة !

وتأذنُ لي بالرّحيل … لأمّ القرى مكةِ

وتدعو لي الله أن … يُقصّرَ من غيبتي

كما ترجّاه أن … يحققَ لي طِلبتي

حسن : أحجّـــاً تُريد ؟

همام : أجـــــل وشـــيئًا مــــن القُربــــة

لأسـعى هنـــاك لتزويــــ ـــج خلّـــيَ مـــن خلّـــتي

محمـــدُ حِلْــفُ الفـــراش ينـــوءُ مـــن العلّــــة

أضـــرَّ بـــه اليـــأس في هـــــواه لِعَلْويَّــــة

وأخشـــى عليـــه المنيّـــ ـــة مـــن هـــذه الصدمـــة

وأخـــبرني أنـــــه يمـــتُّ إلى العِـــترةِ

وأنَّ بـــأم القُـــرى معالـــمَ ذي النِســبة

فقـــد جـــاء منهـــا أبـــو هُ إلى هـــذه البلــــدة

وفتـــشَ في النســـوة الـــ ـــشرائف عـــن زوجـــة

فقـــالوا لـــه : لانتمـــا ئـــك في بيتنـــا أثْبـــتِ

فثـــارتْ بـــه غضبـــةٌ وبـــورك في الغضبـــة !

ومـــالت بـــه عـــزّة وبـــورك في العـــزة !

وقـــال إذا لم يكُـــنْ لـــديّ ســـوى نِسْـــبَتي

فـــلا بـــارك الله في خـــلالي ولا همّـــتي !!

وزَوجـــه ذو الجــــلا ل مـــن أمـــه الـــبرةِ

فعـــاش ســعيد الفـــؤا د بهـــا هـــانئَ العُشـــرة

كـــذا عـــن أبـــي أمِّـــه حكـــى مُجمـــل القصـــة

حسن : همـــام ! بيُمـــن الإلـــ ـــه وفي الحفـظ والعصمـة !

يرافقـــــك الله في خُطَـــى هـــذه السَّـــفرة

وإنـــــي لمســـرورةٌ برعيـــك للصُّحبـــة

ومَـــنْ كمحمـــدَ في ولائـــك والذمـــةِ !

بحبّكَ عطفي عليه وحُبّي لِعلْوية

ألم يسعيا قبلُ في دخولك في عصمتي ؟

ألم يبذلا الجُهد في هنائكَ أو غبطتي

وقد عدتُها أمسِ وهي تَقَعْقَعُ بالزفرة !

بِنَفْسٍ تريد الحياة على جسدٍ ميّتِ !

تنوحَ على نفسها وتزخر بالحسرة !!

وقد أنفدَت دمعها فتبكي بلا دُمْعة !

رثيت لها يا همام ! وخفْتُ على خلتي

لأني أراها تُشير إلى الموت من خُفْية !

فمن أجلها يا هُمام شُكوكيَ في صحتي

وإحساسُ قلبي بأني قريب من النُّقْلة

ولكن لعلّ الإله يكشف من محنتي

سأمضي لتبشيرها وتفريحها بالّتي

لعلّ بها أن تكفَّ مِن عَلَن اللوعةِ !

* * *

المشهـــــد الثالــث

(محمـد على فـراش المـرض . ليـس عنـده سـوى أمـه العجوز تعلله من حين إلى حين وتدخل عليه الخـادم بمكتـوب فيفضـه بيد مرتعشة فإذا هو من حبيبته علوية وإذا فيه) :

يا حبيبي ! مــني عليك سلامٌ وسـلام الرحمن فـوق سـلامي
يـا حبيـبي إن المنيَّـة جـامٌ كلنـا شـاربٌ بـذاك الجـام
والسعيد الذي يموت سليمَ الـ ـقلبِ عَفَّ الرداء من كـل ذام
فمتى جـاءكَ النَّعِيُّ بموتـي فـترحم علـى شـهيد الغـرام !
أنا في النزع يـا حبيبي فصبرًا لا تَضعضَـع لحـادث الأيـام
ووداعًا! إلى اللقاء! على الكو ثر! في الخلد! في جوار السلام!
إن تحلْ بيننا الحيـاةُ ففـي الخلْـ ـدِ سنحظى بلقيـةٍ ووئـام
سيرى الحـائلونَ دون الحبيبَـ ـين جزآء الإلـه ذي الانتقـام

علويَّة

محمد : (يتقلب علـى الفـراش ذات اليمـين وذات اليسـار بجهـد ومشقة)

هي في النزع! آهِ ما أعظم الخطـ ـب وأقسى على فؤادي الدامـي!
هي في النزع! ربِّ هَون عليهـا! حسـبها مـا رأتْ مـن الآلام!
منعوهـا الحيـاة ظلمًـا فـأودَوْا بحيـاةٍ بريئـةِ الأحـلام
رب! لاخير في الحيـاة! فألحِقـ ـني بهـا واكفِـني عنـاء السَّقام
هي روح الوجود مني وما يُصْـ ـنعُ بعد الأرواح بالأجسـام ؟

أكذا نتركُ الوجود ولم نحـــــظَ بوصل ، ولم نفُز بمرام ؟!
أكذا يُرفع البساط وما دا رَتْ على العاشقين كأس مدام ؟

(يحاول أن ينحرف إلى جنبه فلا يستطيع من الضعف والإعياء)

رب ماذا أحِسُّ ؟ هذا فتور عجَب في مفاصلي وعظامي !
خار جسمي فما أطيق حراكًا! وتناهت بُرودة الأقدام
ما لرأسي أضحى عليَّ ثقيلاً وجفوني يُغْرينَني بالمنام !
ويدي لا تطيق حمل سِواكي ! ولساني تعثرت بالكلام !
وفؤادي دقاته تتوالى علَّ هذا نذيرُ قرب الحِمام

(يتذكر صديقه هماماً)

أين ولَّى همامُ ؟ يا ليته عنـــــدي أراه في مُنتهى أيامي !!
نضر الله وجهه من صديق مخلص لي على مدى الأعوام
كم هداني من الضلال، وكم عبّـــد سُبْل الحياة من قدّامي
أمّ صوبَ الحجاز في لفحة الصيـــف حريصًا على قضاء مرامي
ليس يدري أني بمدْرَجَة المو تِ وأني على شفير الرِّجام
ومضى غيرَ عالم أن حُسنًا مُنِيَت بعده بحُمَّى لِزَام
ليت شعري إن جاء نعيي همامًا ثم ماذا تكون حال همام ؟
أو أصيبت - لا قدر الله - حسنٌ فهي أدهى فجائع الأيامِ !
وهو في غُربةٍ وليس لديه من يهدِّي فؤاده المترامي !
سُنَّ يا رب بالشِّفاء عليها لا تذَرْها رَميَّةً للسهام

* * *

إن مِن خلفها فتًى ينصر الحق جهارًا وعن هداك يحامي

شعَّ من هديه على القُطْر نور — فإذا مات عاد للإظلام

واستعاد الجمودُ سلطانه الضخـ — ـمَ ، وعزَّت سواعد الأوهام

هي سُلوانه الوحيد من الدنـ — ـيا إذا ضاق بالخطوب العظام

عَوْنُه إن جنى الجهاد عليه — وأراه تنكُّر الأقوام

(يمسك بيديه على أضلاعه)

يا فؤادي دنا الخلاص! فصبرًا — سوف تسلو هذي الجراح الدوامي!

وستلقى الحبيب في ربوة الخلـ — ـد يحييك ثغره بابتسام !

وسأغدو إلى الإله فيعفو — عن ذنوبي وسالف الآثام

وسأشكو إليه من رَزَأوني — في ربيع الحياة — في أحلامي

وأراقوا دمي البريء ، وضحَّوْا — بحبيبي في مذبح الأوهام !

تخذوا الدين جُنَّةً يتوقَّوْ — ن بها في الورى سهام الملام

فسيدرون أنني عَلَويّ — تنتهي نسبتي لخير الأنام

غير أن الحِمام أهون عندي — من فخاري بالجد والأعمام

وادِّعائي به على الناس فضلاً — يتقاضاهُمُ رسوم احترامي !

عَزَّ دين الإسلام ! قد جعل النا — س سواء في شرعه المتسامي

لم يدع ميزة لزيد على عمـ — ـرو ، ولا حارث على هَمَّام

(يلتفت إلى أمه وهي بجانب فراشه واهية الأركان ترنو إليه في ذهول وتتحادر دموعها ولا تستطيع الكلام من الأسى)

إصبري يا أماه ! فالله أبقى — لك مني ومن جميع الأنام !

(يصوب نظره إلى السماء)

رب رفقًا بقلبهـا المتشـظي ! وحنـانيك بـالدموع الهوامـي !
كن لها إن أتت ضحىً بطعامي فتنـادي وليـس رب الطعـام !
كن لها إن أتت سـريرى لإيقـا ظي ؛ فـترتد عنـه والقلـب دام !

(تنحـدر مـن عينيـه دمعتـان كبيرتـان ويدخـل في دور الاحتضار الأخير)

(بصوت متقطع)

رب! من ذا أرى ؟ ملائكة المو ت ؟ ألا مرحبًا بوفـد السـلام !
رب! إني آمنت أنك أنـت اللّـ ـه رب الجـلال والإكـرام
ونبيـي محمـد سـيد السـا دات طـه إمـام كـل إمـام
كلُّ زادي إليك خـالصُ توحيـ ـدي فَهَب لي يا رب حسـن الختـام

* * *

المشهــد الرابــع

همام في مكة بمنزل استأجره قريب من المسجد الحرام . يأتيه موزع البريد ويسلم إليه برقية من عدن . يوقعها همام فيخرج الموزع .

همام : **(بيده البرقية لم يفتحها بعد)**

برقيــة ! مــا شــأنها قــل لي ؟ هل مات لي أحد مــن الأهــل ؟
إنــي أحــس كــأن حادثــة جللا ســتُفجعني علــى مَهْــل
يــا بــرق مــاذا أنــت تحمــل لي إنـــي أراك تَنـــوء بـــالثقل !
قلـــبي يحدثـــني ؛ ولم أره يومـــا يحدثنـــي علـــى جهـــل

(يفتح البرقية ويجيل نظره فيها بسرعة)

مــاذا ؟ أماتــوا ؟ أماتــتِ حُســنُ ؟ واكبــدي
ربَّاه ..! خــذ بيــدي ! ربَّاه ..! خذ بيــدي !

(يسقط من مقعده على الأرض مغشيًا عليه . يسمع جاران له من الحجاج هدة سقوطه فيفتحان عليه البـاب حيث يجدانـه

ملقى فاقد الشعور . يحركه أحدهما ويأتي الآخر بماء ويرشه على وجهه . يفتح عينيه ثم يتحامل على نفسه حتى يجلس) :

يا حسرتي اليوم فارقت الحبيب إلى
غير اللقاء ! وواحزني وواكمدي ؟
أشكو إليك إلهي ما مُنيت به
من الخطوب ولا أشكو إلى أحد !
كأنما أنا لم أخلَقْ لأشهد مِنْ
هذي الحياة سوى البأساء والنكد !
اليوم أسكب دمعي غير منقطع
إن غاض دمعي يمدُّه دم الكبد !
يا رب لم يبقَ لي في العيش من أرب
فَلَقِّني راحتي في هذه البلد !

(ينظر مرة ثانية في البرقية)

أماتت إذاً حسنٌ؟ ومات محمد وماتت على أثر السقام فتاته !
ثلاثة أحبابي بيوم فقدتهم! فيا لفؤادٍ أُثْخِنت طعناته ؟
يذوب من الشكوى ويدمى من الأسى وليس إلى غير الإله شكاته
محمدُ يا خير الأخلاء! والذي صفتْ مثلما تصفو المدام صِفاته
حنانيك لا تبعَد! لمن أنت تاركي؟ لقاسي زمانٍ أُولعت بي عُداته ؟
ويا ساعِدَ الإصلاح والباسل الذي به ارتفعت في قطرنا صرخاته

أتمضي و لم نهتِك من الجهل سِتره   وما انفضَّ عن صرح الجمود حُماته ؟
أتمضي وفي جنبيك قلبٌ معطَّش   من الحُب لم تُبْلَلْ بوصلٍ لهاته ؟
أحين ظفرنا بانتسابك واضحًا   تُغِصُّ به حلقَ الحسود شجاته ؟
أحين ظفرنا بانتسابك واضحًا   تكُفُّ به طرفَ الحسود قذاته ؟
وكنت على قاب من الوصل هانئًا   تطلَّق عن غُرّ المنى بسماته ؟
وأنتِ فتاةَ النُبل والطُهر والحجى   تغشتك من رَوْح الرضى نفحاته
لضاعفَ من حزني فراقك أنّه   فراقٌ به لاقتْ حبيبي وفاته
أراكِ وفاءً ما رأى الناس مثله   فدًى لحبيب بالوفاء مماته
ولم أنسَهُ لما رآكِ مريضة   فجاشت به في مشهدي حسراته؟

(تنهمر دموعه)

يقول : كأني يا هُمام سأنتهي   كأن حِمامي قد أقيمت صلاته!
فقلت له: دع عنكَ وهمكَ، إنَّ ذا   محيَّاك نَضْر لم تَحُلْ قَسَمَاته !
فأصغى لقولي واطمأن فؤاده   وقرّت ـ على سُحر الردى ـ رجفاته
وما كنت أدري أنني أنا واهمٌ   وأن حبيبي صادقٌ كلماته !

(يريد أحد الجارين أن يقيم هماما من الأرض فيجذبه صاحبه)

دَعْـه يُرسـل دمعـه من بكى الشجـو اسـتراح
وإذا مـا كَبَـتَ الـ ـحُزْنَ في جنبيـه طـاحْ

الجار : ويحـه مـن مُوجَـع دَمِيَـتْ منـه الجـراح !

صاحبه : مـا عليـه الآن بـأ س وقـد صـاح ونـاح

همام : حبيبي ! مالي في رثائك مقول كأن فمـي شُكَّت برمحٍ لهاته !
رثاؤك في قلبي يهدّ أضالعي وتدفـع في أحنائهـا ضرباتـه
ولا يستطيع الشعر وصفًا لهوله وتقصر عـن تصويـره خطواتـه
على أنه الشعر الذي الشعر دونه سرت في الورى مسرى الضحى بيّناته
وإن قريضًا أنت مصدر وحيه لتَسـجد غُـزّاه لـه ومناتـه !
يميل بعطف الكون قدسيٌّ لحنه وتعذُب في سمع الدُّنـى نغماتـه
تَقطَّـعُ أعناق البلاغـه دونـه وتُزْهَـى بـه بـين الأنـام رواتـه
تُغَصُّ به حساده وهـو سائغ وأقتـلُ مـاء للحسـود فراتـه
ولكنه الخطب الذي الخطب دونه تلقـاه قلـب لا تلـين صَفَاتـه
ولو غيره أضحى به بعض ثقله لقـامت عليـه في المسـاء نعاتـه
فها هو ذا قلبي كسيرًا محطمًا تفيـض دمًـا ثَجَّاجَـةً جنباتـه
لمن أطلب العلياء بعدك ؟ إنما حَدَتني إليها من سناك حُداته !
وأين سبيل المجد بعدك ؟ إنما بنـور محيـاك انجلـت ظلماتـه
فأنت الذي علّمتَ نفسي ركوبه ولولاك ما ذلّت لها صهواته !
ولَقنتها حُب الهدى وجهاده ولولاك ما اجتِيزَت لها عقباته
أتمضي وما جفّتْ رياحين عُرسنا وما برحت بسَّامة زهراته ؟
أتمضي ولما يَشْفِ قلبي أوامه وما شقّقت أكمامها صبواته ؟
سلام على قَبْر الحبيب ورحمة وغيث رضى ما تنتهي قطراته

لئن كان أنسي في الحياة لقاؤه فانسي وهمي بعده ذكرياته!!
كأني بالثغر الجميل على فمي ترف به في نشوةٍ قُبُلاته !
كأنّي بالفرع الجميل بمنكبي تداعبني في عَرْفها خصُلاته !
كأنيْ بيمناه تجول بمفرقي فتلثمها في نشوةٍ شعراته !
لئن حالت الأيام بيني وبينه وقُدِّر للشمل الجميع شتاته
ففي جنة المأوى غدًا سوف نلتقي بفضل كريم لا تُحَد هباته
وإن عزاء القلب إيمانه به وقد فارقته في الحياة حياته

(ينهض فجأة)

خذوني خذوني إلى المسجدِ خذوني إلى الحجر الأسود !
خذوني إلى زمزم علها تُبرد من جوفي المُوقَد !
خذوني لأستارِ بيت الإلـ ـه أشُدَّ بها في ابتهالٍ يدي
دعونيَ أذهب إلى خالقي دعونيَ أذهب إلى سيدي !
دعوني أحطْ على بابه ثِقال الدموع وأستنفِد
فإن أحيَ على لُطفه وإن يأتني الموت أُستشْهَد

(يخرج إلى المسجد الحرام يرافقه جاراه . يقصد زمزم فيكرع من مائها يتوضأ ويذهب إلى المطاف يطوف .. ثم يقف تجاه الملتزم ويتعلق بستر البيت :

الحمد لله اطمأنَّ قلبي ! هأنذا بين يَمِينَيْ ربي ؟
إن عظُمت مصيبتي وخطبي فالله يرعانيَ وهو حسبي !

* * *

يـا رب أنـت الواحـد القهـار   وأنـت ذو الرحمـة والجبّـار
تفجّـرت مـن نـورك الأنـوار   وقَصُرت عـن كنهـك الأفكـار

* * *

يـا رب لا نقـض لمـا أبرمْتَـا !   فَرَضِّـني ربّ بمـا حكمْتَـا
لعلـني أجهـل مـا عَلِمْتَـا   مـن صالح لي في الـذي أقمتـا

* * *

يـارب ألهمـني العـزاء الشـافي !   واضمِد جروحي منك بالألطـاف
وآتِـني عزائـم الأسـلاف   فـأنت لي الكـافي ونعـم الكـافي

* * *

وأولـني مُنـاي في الدارَيْـن   و(حُسنًا) اجمـع بينهـا وبيـني
في دار خلْـد بـين جنّتَيْـنِ   أقْـررْ بـذاك عينهـا وعيـني

* *

يـا رب وارفـع (أمّـة الإسلام)   واقـذِفْ بهـا إلى المقـام السـامي
حتـى تُـرى خفّاقـة الأعـلام   علـى جميـع الكـون بالسـلام

* * *

ووحّد (العُرْب) ، فإن الوحده تحيي لها ماضِيَها وعهدَه
تعيد بعد الاندرَاس مجدَه والله لا يُخلف يومًا وعده

* * *

وانظر إلى (الأحقاف) بالرعايهْ وأولِها بفضلك العنايهْ
بالعلم والأخلاق والهدايهْ فَجَلٌّ عنها الجهل والعَمَايهْ

* * *

وصل يا رب على المختار خير الأنام سيد الأبرار
وآله وصحبه الأطهار ما طلعت كواكب الأسحار

* * *

هذا وقوفي خاشعًا بين يديك ! وتائبًا من كل آثامي إليك
متّكلا في كل أحوالي عليك لبّيك يا رب الجلال لبّيك !

* * *

(ستار الختام)

للمــؤلف

١ ــ هُمام أو في بلاد الأحقاف
٢ ــ أخناتون ونفرتيتي
٣ ــ سلامة القس
٤ ــ وإسلاماه
٥ ــ قصر الهودج
٦ ــ الفرعون الموعود
٧ ــ شيلوك الجديد
٨ ــ عودة الفردوس
٩ ــ روميو وجوليت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
١٠ ــ سر الحاكم بأمر الله
١١ ــ ليلة النهر
١٢ ــ السلسلة والغفران
١٣ ــ الثائر الأحمر
١٤ ــ الدكتور حازم
١٥ ــ أبو دلامة (مضحك الخليفة)
١٦ ــ مسمار جحا
١٧ ــ مسرح السياسة
١٨ ــ مأساة وأديب
١٩ ــ سر شهر زاد

٢٠ ـ سيرة شجاع
٢١ ـ شعب الله المختار
٢٢ ـ إمبراطورية في المزاد
٢٣ ـ الدنيا فوضى
٢٤ ـ أوزوريس
٢٥ ـ فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية (محاضرات)
٢٦ ـ دار ابن لقمان
٢٧ ـ قطط وفيران
٢٨ ـ إله إسرائيل
٢٩ ـ هاروت وماروت
٣٠ ـ الزعيم الأوحد
٣١ ـ جلفدان هانم
٣٢ ـ قاب قوسين
٣٣ ـ الفلاح الفصيح
٣٤ ـ ملحمة عمر (١٨ جزءا)
٣٥ ـ حبل الغسيل
٣٦ ـ هكذا لقي الله عمر

رقم الإيداع : ١٠٢٢١ / ١٩٩٧
الترقيم الدولى : 4 - 1112 - 11 - 977

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة



الثمن ٣٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه